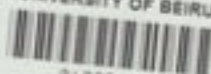


رسالة الشيرازي في علم الاخلاق

170:Sh55A:c.1

الشيرازي، ابو اسحق ابراهيم بن علي  
رسالة الشيرازي في علم الاخلاق ...

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01002190

170  
Sh 55A

JAFET LIB.

13 APR 1990

~~TITLED 1977~~



J. LIB.

11 JAN 1980

JAFET LIB.

26 FEB 1988





170  
SH55A  
C.1

٢٧٢٢

ل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا  
رَحْمَةُ اللَّهِ وَكَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ

﴿وانك لعلی خلق عظیم﴾

(منزوم الطبع)

يَعْبُدُكَ بِضَلَالٍ الْخَلْقُ أَجْمَعُ

﴿نمحر النسخة قرئين صاغ﴾

49212

( مطبعة الموسوعات بشارع باب الخلق بمصر ١٣١٩ هـ )

« لصاحبها - سما عيل حافظ »

﴿ مفرق ﴾



« قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون  
والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين  
هم لقرواحهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم  
غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين  
هم على صلاتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون الذين يرثون  
القرى دوس هم فيها خالدون »

## ﴿ الأخلاق ﴾

الأخلاق جمع خلق والخلق بالضم وبضميتين السجية  
والطبع والمروءة والدين والخلقة بالكسر الفطرة كالخلق بالفتح

على ما في القاموس . وفي الكشف للعلامة الزمخشري في تفسير  
قوله تعالى « وانك لعلى خلق عظيم » استعظم خلقه لقرط احتماله  
الممضاة من قومه وحسن مخالفته ومداراته لهم وقيل هو الخلق  
الذي أمره الله تعالى به في قوله « خذ العفو وأمر بالعرف  
واعرض عن الجاهلين » وعن عائشة رضى الله عنها ان سعيد  
ابن هشام سألها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فقالت كان خلقه القرآن الست تقرأ القرآن « قد أفلح المؤمنون »  
اه وعرف ابن مسكويه الخلق بمناصه

الخلق حال للنفس داعية لها الى أفعالها من غير فكر  
ولا روية . وهذه الحال تنقسم الى قسمين : منها ما يكون  
طبيعياً من أصل المزاج كالانسان الذي يحركه أدنى شيء نحو  
غضب ويهيب من أقل سبب وكالانسان الذي يجبن من أيسر  
شيء كالذي يفرع من أدنى صوت يطرق سمعه أو يرتاع من  
خبر يسمعه كالذي يضحك ضحكاً مفرطاً من أدنى شيء يعجبه  
وكالذي يغم ويحزن من أيسر شيء يناله \* ومنها ما يكون  
مستفاداً بالعادة والتدرب وربما كان مبدؤه بالروية والفكر ثم

يستمر عليه أولاً فاولاً حتى يصير ملكة وخلقاً . ولهذا اختلف  
 القدماء في الخلق فقال بعضهم الخلق خاص بالنفس غير الناطقة  
 وقال بعضهم قد يكون للنفس الناطقة فيه حظ . ثم اختلف  
 الناس أيضاً اختلافاً ثانياً فقال بعضهم من كان له خلق طبيعي  
 لم ينقل عنه . وقال آخرون ليس شيء من الاخلاق طبعياً  
 للانسان ولا نقول انه غير طبيعي . وذلك انا مطبوعون على  
 قبول الخلق بل ننقل بالتأديب والمواعظ أما سريعاً أو بطيئاً .  
 وهذا الرأي الاخير هو الذي نختاره لانا نشاهده عياناً ولان  
 الرأي الاول يؤدي الى ابطال قوة التمييز والعقل والى رفض  
 السياسات كلها وترك الناس همجاً مهملين والى ترك الاحداث  
 والصبيان على مايتفق أن يكونوا عليه بغير سياسة ولا تعليم  
 وهذا ظاهر الشناعة جداً

وأما الرواقيون فظنوا أن الناس كلهم يخلقون اختياراً  
 بالطبع ثم بعد ذلك يصيرون أشراراً بمجالسة أهل الشر والميل  
 الى الشهوات الرديئة التي لا تقمع بالتأديب فينهمك فيها ثم  
 يتوصل اليها من كل وجه ولا يفكر في الحسن منها والقبيح \*

وقوم آخرون كانوا قبل هؤلاء ظنوا أن الناس خلقوا من  
 الطينة السفلى وهي كدر العالم فهم لاجل ذلك أشرار بالطبع .  
 وإنما يصيرون أخياراً بالتأديب والتعليم إلا أن فيهم من هو في  
 غاية الشر لا يصلحه التأديب وفيهم من ليس في غاية الشر  
 فيمكن أن ينتقل من الشر إلى الخير بالتأديب من الصبأ ثم  
 بمجاسة الاخيار وأهل الفضل \* فأما جالينوس فإنه رأى أن  
 الناس فيهم من هو خير بالطبع وفيهم من هو شرير بالطبع  
 وفيهم من هو متوسط بين هذين . ثم أفسد المذهبين الأولين  
 اللذين ذكرناهما \* أما الأول فبأن قال ان كل الناس  
 أخياراً بالطبع وإنما ينتقلون إلى الشر بالتعليم فبالضرورة أما أن  
 يكون تعلمهم الشرور من أنفسهم وأما من غيرهم . فإن تعلموا  
 من غيرهم فإن المعلمين الذين علموهم الشر أشرار بالطبع . فليس  
 الناس إذا كالم أخياراً بالطبع . وإن كانوا تعلموه من أنفسهم  
 فاما أن يكون فيهم قوة يشترقون بها إلى الشر فقط فهم إذا  
 أشرار بالطبع وأما أن يكون فيهم مع هذه القوة التي تشترق  
 إلى الشر قوة أخرى تشترق إلى الخير إلا أن القوة التي تشترق

الى الشر غالبه قاهرة للتي تشتاق الى الخير وعلى هذا أيضاً  
يكونون أشراراً بالطبع

وأما الرأي الثاني فانه أفسده بمثل هذه الحجة . وذلك  
انه قال ان كان الناس أشراراً بالطبع فاما أن يكونوا تعلموا الخير  
من غيرهم أو من أنفسهم ونعيد الكلام الاول بعينه . ولما  
أفسد هذين المذهبين صحح رأي نفسه من الامور البينة  
الظاهرة . وذلك انه ظاهر جداً أن من الناس من هو خير  
بالطبع وهم قليلون وليس ينتقل هؤلاء الى الشر ومنهم من هو  
شرير بالطبع وهم كثيرون وليس ينتقل هؤلاء الى الخير . ومنهم  
من هو متوسط بين هذين وهؤلاء قد ينتقلون بمصاحبة  
الاخيار ومواعظهم الى الخير وقد ينتقلون بمقاربة اهل الشر  
واغوائهم الى الشر

وأما ارسطوطاليس فقد بين في كتاب الاخلاق وفي  
كتاب المقولات أيضاً أن الشرير قد ينتقل بالتأديب الى الخير .  
ولكن ليس على الاطلاق لانه يرى ان تكرير المواعظ  
والتأديب وأخذ الناس بالسياسات الجيدة الفاضلة لا بد أن

يؤثر في ضروب التأثير في ضروب الناس فمنهم من يقبل التأديب  
ويتحرك الى الفضيلة بسرعة ومنهم من يقبله ويتحرك الى الفضيلة  
باطناء . ونحن نؤلف من ذلك قياساً وهو هذا : كل خالق  
يمكن تغييره . ولا شيء مما يمكن تغييره هو بالطبع . فاذا لخلق  
ولا واحد منه بالطبع . والمقدمتان صحيحتان والقياس منتج في  
الضرب الثاني من الشكل الاول . اما تصحيح المقدمة الاولى  
وهي ان كل خلق يمكن تغييره فقد تكلمنا عليه وأوضحناه وهو  
بين من العيان ومما استدلنا به من وجوب التأديب ونفعه  
وتأثيره في الاحداث والصبيان ومن الشرع الصادقة التي هي  
سياسة الله الحقة . واما تصحيح المقدمة الثانية وهي انه لا شيء  
مما يمكن تغييره هو بالطبع فهو ظاهر أيضاً . وذلك ان لا يروم  
تغيير شيء مما هو بالطبع أبداً . فان أي احد لا يروم أن يغير حركة  
النار التي الى فوق بان يعودها الحركة الى أسفل ولا أن يعود  
الحجر حركة العلو يروم بذلك أن يغير حركة الطبيعة التي الى  
أسفل . ولورامه ما صح له تغيير شيء من هذا ولا ما يجري  
مجراه أعني الامور التي هي بالطبع فقد صحت المقدمتان وصح

التأليف في الشكل الاول وهو الضرب الثاني منه وصار برهاناً  
 فاما مراتب الناس في قبول هذه الآداب التي سميناها خلقاً  
 والمصارعة الى تعلمها والحرص عليها فانها كثيرة وهي تشاهد  
 وتعاين فيهم وخاصة في الاطفال فان اخلاقهم تظهر فيهم منذ  
 بدء نشأتهم ولا يسترونها بروية ولا فكر كما يفعل الرجل التام الذي  
 انتهى في نشؤه وكماله الى حيث يعرف من نفسه ما يستتبع منه  
 فيخفيه بضروب من الحيل والافعال المضادة لما في طبعه : وانت  
 تتأمل من اخلاق الصبيان واستعدادهم لقبول الادب أو نفورهم  
 عنه أو ما يظهر في بعضهم من الفحّة وفي بعضهم من الحياء وكذلك  
 ما ترى فيهم من الجود والبخل والرحمة والقسوة والحسد وضده  
 ومن الاحوال المتفاوتة ما تعرف به مراتب الانسان في قبول  
 الاخلاق الفاضلة وتعلم معه انهم ليسوا على رتبة واحدة وان  
 فيهم المتواني والممتنع والسهل السلس والفظ العسر والخير  
 والشرير . والمتوسطون بين هذه الاطراف في مراتب لا تحصى  
 كثرة واذا أهملت الطباع ولم ترض بالتأديب والتقويم نشأ كل  
 انسان على سوم طباعه وبقي عمره كله على الحال التي كان عليها

في الطفولية وشبع ما وافقه في الطبع اما الغضب واما اللذة واما  
 الزعارة واما الشره واما غير ذلك من الطباع المذمومة اه  
 وعليه فان الخلق حال قائمة بالنفس تنبعث عنها إما الفضيلة  
 اذا تهذبت النفس وترتب على القواعد الاساسية الدينية ولازمت  
 الحدود التي حددها الله سبحانه وتعالى للبشر على لسان رسوله  
 وأنبيائه من اتباع التعاليم الشرعية التي اذا صارت ملكة للنفس  
 متأصلة سارت بصاحبهما في طرق السعادة وردعته عن الغواية  
 وإما الرذيلة اذا تركت النفس وشأنها مهملات سائمة لم ترد  
 حياض التعاليم لترتشف الفضائل وتغترف المعارف فتسقى  
 غلة الجهل وتطفأ نيران الشهوات البدنية المفطورة عليها الاجسام  
 الحيوانية . لان الجسم لما كان مكوناً من العناصر المادية فهو  
 مجبول على الميل اليها بحكم الطبيعة وهو لا يسترسل في هذا  
 الميل ولا ينساب الى الشهوات الا اذا ضعفت فيه قوي النفس  
 العاقلة وقعدت به قوائم الروح المدركة . هنالك يتغلب الجسم  
 ويعظم سلطانه وتقف أمامه النفس صاغرة مهانة يقلبها كيف  
 يشاء ويذهب بها في سبيل اللذات البدنية كل مذهب حيث

لا شعور بالملاذ الروحية . وأي صغار وهوان للنفس أكثر من  
أن تعدم وظائفها في هذا العالم بفقدان قوة الإرادة والشعور  
بان عليها واجبا تؤديه نحو السعادة وفرضا تقوم به تجاه المجد  
وانى يكون لها ذلك وهى عارية من ثياب العرفان متجردة من  
وشاح الفضائل تبصر الذل في سبيل الشهوات عزاء ونجارا  
والضيم في باب الاهواء مجدا ونخارا

أو كيف يتسنى لها أن تنهض بذويها وتسلم بأصحابها  
سنام المجد الا اذا شعرت بالذات الروحية وذات حلاوتها  
وأشرقت من سماء المعارف لتبديد تلك الغياهب غياهب  
الاجسام الكثيفة التى هوت بالانفس في مهاوى الضعة  
والاحتقار وتردت بهافي حفر العار واوردتها موارد الشنار  
حيث لاعظة ولا اعتبار . وهذه هي النفس البهيمية التى ليس  
لها اقل سيطرة على الجسيم فلا تتأثر بالألم الا كما تتأثر البهيمة  
بما ينالها من ضروب الأذى . تأثر حيوى اقتضته الطبيعة

والنفس الماقلة هى التى تضاد الاجسام في جميع أفعالها  
وخواصها . وهى سر الالهى أودعه الله في الانسان ليسيطر

به على الكائنات في هذا العالم فيجب اذا أن لا يضاع ذاك  
 السر المصون وأن لا يترك هذا النور الرباني أسير الجسم  
 الكثيف . (وقد شبه الحكماء من أهل سياسة نفسه لعاقلة يرجل  
 معه ياقوتة حمراء شريفة لا قيمة لها من الذهب والفضة جلالة  
 ونفاسة وكان بين يديه نار تضطرم فرماها في حباحبها فخرت  
 فخر ضروب منافعها . وقد قال أفلاطون ان النفس العاقلة  
 هي بمنزلة الذهب في اللين والانعطاف وأما البهيمية فهي بمنزلة  
 الحديد في الصلابة والامتناع) . بمعنى أن النفس الناطقة قابلة  
 للتربية والتهديب وان تجعل صالحة للأعمال النافعة في سعادة الدارين  
 واذا كانت العلوم والمعارف هي من وسائل التهديب  
 ومقتضيات التربية فما لا جدال فيه أن النفس لا تهذب بمجرد  
 استيعابها العلوم فقط فان العلم انما ينقى ضده وهو الجهل والعلم  
 فضيلة ناقصة اذا لم يقترن بالعمل . وكما انه ينقى الجهل كذلك  
 العمل ينقى الكسل ولا يدع الانفس تحوم حول الملاهي  
 والشهوات البدنية لاشتغالها به عما عداه من البطالة والميل الى  
 الراحة ومتى أدركت النفوس لذة العمل والتعب المتواصل

في سبيل رقية الحالة الاجتماعية احتقرت كل شهوة بدنية  
وعظمت لديها للذائذ الروحية التي لا يشاركها فيما مشارك من  
نحو الفخار والمحمدة والشكران . وكما ان الشخص يسمن من  
فه كذلك يسمن الانسان من أذنيه عند سماعه أنواع المحامد  
والثناء والتمجيد تلقاء الافعال الجميلة والاعمال الجليلة . والنفس  
الانسانية ميالة الى حب الاحترام والتجلة ولسكن النفوس  
الهيمنية تطلب ذلك من طريق الماديات لا من طريق المدارك  
كمن يطلب احترام نفسه لأجل ماله الذي لا ينتفع به في فعل  
الخيرات واسداء المبرات

وما زال الناس قديماً وحديثاً معظمون الرجال بعظيم أفعالهم  
ويجلونهم بجليل أعمالهم ( وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله )  
وقال عليه الصلاة والسلام ( من أسرع به عمله لم يبطي به حسبه  
ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ) . وقال عمر بن الخطاب  
رضي الله عنه لرجل . من سيد قومك قال أنا قال كذبت لو  
كنت كذلك لم تقله . يريد بذلك أن الرجل يدعى السيادة  
بغير عمل للسودد أو أنه منان بعمله وقيل لقيس بن عاصم بم

سودك قومك قال بكف الاذى وبذل الندى ونصرة المولى  
وسأل عبد الملك بن مروان روح بن زنباع عن مالك بن  
مسيع . فقال لو غضب مالك لغضب معه مائة الف سيف  
لا يسأله واحد منهم لم غضبت . فقال عبد الملك هذا والله  
السودد . ومالك بن مسيع انما ساد بحسب عشيرته له . فالسيد  
المحترم في قومه هو الذي يكف عنهم الاذى ويرفع الالم الذي  
يعرض لهم تجاه مطالب الحياة ويسير بهم في طرق السعادة  
فيكتسب المجد من طريقه ويدخل المفاخر من ابوابها  
وأفضل الخلق من بني الوري رجل

تقضى علي يده للناس حاجات

قد مات قوم وما مات مكارمهم

وعاش قوم وهم في الناس أموات

والفاضل هو الذي يأتي الفضيلة لذاتها لا لغرض مكافأة

ولا مجازاة بل لمحض المروءة وابتغاء الانسانية . ولذلك كان

أعضاء الجمعيات الخيرية في العالم أعظم الناس قدراً وأرفعهم

بين الأنام ذكراً أن صحت نواياهم وحسنت طواياهم وانهم

لا يريدون جزاء على أعمالهم نحو الانسانية . وكذلك العلماء  
الذين وقفوا حياتهم على خدمة النوع الانساني وترقية مداركه  
بنشر التعاليم والتأليف النافعة حتى استضاء العالم بنبراس هديهم  
وأشرقت الارض بنور ارشادهم وقد خلد لهم التاريخ ذكرًا حسنًا  
لا يمحوه كره الدهور ولا مر العصور اذ لولاهم وما قاموا به من  
التأليف لظل العالم يتخبط في غياهب الجهل ويتردى في مهاوى  
التوحش ومن نظر الى التأليف التي لاتعد ولا تحصى والتي خطتها  
أنا مل أولئك الأسلاف وأودعوا بطونها فرائد العلوم والآي العرفان  
علم أن أولئك ما كان يعيل بهم أقل ميل الى شهوة بدنية  
ولا تهزم هزلة حيوانية . سوى حفظ حياة قوموها ببلغة استعانوا  
بها على نشر العلوم والفضائل فكانوا منبع المجد ومصدر  
الفخار ومثال السكّال . ولقد كثرت في هذا الايام شكوى  
العقلاء من تأخر المسلمين في مضمار العلوم والمعارف وانبرت  
اقلام الكتاب للمسابقة في هذا الميدان وهم يجاهدون الآن  
أي جهاد في مشارق الارض ومغاربها على لسان الصحف  
السيارة وقامت مؤتمرات لهذا الغرض أو سمعوا فيها مجال الجدل

والمناقشة في سبيل التربية الصحيحة والتهذيب القويم سعياً  
وراء ترقية الافكار وتثقيف العقول وتنوير المدارك وكل  
يبدى رأياً ويختلف عن الآخر اختلافاً والكل متفقون على  
أنه لا تربية الا بالعلوم ولا تهذيب الا بالمعارف . وأنى يكون  
ذلك وقد فقدت من بيننا رجال التأليف وقل عندنا من  
يقوم بنشر التعاليم الصحيحة المجردة عن السخافات التي أودت  
بالناس الى مهاوى الهلكة وأوردتهم موارد المذلة والمار .  
أو كيف يحصل والعلماء في شغل بالماديات عن القيام بوظيفتهم  
من نشر التأليف النافعة الملائمة للاحوال المصرية القومية  
وفي سهو بالوظائف عن ارشاد الناس الى امر معاشهم ومعادهم  
بالطرق الشرعية والاساليب المقومة للاخلاق فقد كثر تطالع  
الناس الى التهاافت على الشهوات وجر ذلك الى الوقوع في سيئ  
المعاملات وتمكنت المعادات الضارة أي تمكن وما من سبيل  
الى قلع جذورها الا التربية

ومن يقوم بالتربية سوى العلماء كما قام علماء العصور السابقة  
بها فرفعوا صروح المجد وشادوا أركان الفخر وحلوا بسبب

ذلك عند الملوك والامراء المحل الاعظم . وعبثاً تحاول امة  
 النهوض من رقدتها بغير أن تأخذ العلماء وقادة الافكار بيدها  
 ولو أن العلماء قاموا بنشر التربية بين الناس كما تقوم الصحف  
 السيارة بها الآن بيننا لصالح الحال وتحقق الامال ولكنهم  
 أهملوا وظيفتهم فاهملوا الامة

وهذه رسالة وضعها الامام الشيرازي في علم الاخلاق  
 صغيرة الحجم كثيرة النفع تألفتها الاحداث ولا تألفها الشيوخ  
 حملني على نشرها ما هو مشاهد بيننا من اعوجاج الاخلاق عن  
 جادة التقويم وعدم الهداية الى الصراط المستقيم عسى أن تحل  
 من النفوس محلا فتزكيها والله المسؤول ان يوفقنا الى صالح  
 الاعمال لخدمة الاوطان في ظل مولانا أمير المؤمنين السلطان  
 ﴿عبد الحميد الثاني﴾ حرس الله ملكه وايد نصره وأدام مولانا  
 الخديوي المعظم (عباس حلمي الثاني) كعبة الامال على  
 سر الايام والليال  
 (عبد العليم صالح)  
 (المحامي)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا  
لِإِسْلَامِهِ وَبَارَكْ فِيهِ  
لَنَا وَإِنَّا لَكَنَّا

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ قُلُوبٍ عَظِيمٍ ﴾



( بسم الله الرحمن الرحيم )

ان أولى ما نطق به اللسان \* وثبت وجوبه بسواطع  
 البرهان \* الحمد لمن يستحق الحمد لدوام المجد والعلى \* والشكر  
 لمن يستوجب الشكر لتمام النعم والآلاء \* الذي ظهرت عجائب  
 مصنوعاته \* وبهرت غرائب مبدعاته \* وأوجد الخلائق بكمال  
 قدرته \* ودل ببدائع صنعته على لطائف حكمته \* وفضل  
 الانسان على البرية بالعقل الراجح \* والعمل الصالح \* حتى تبصر  
 نتائج الحزم \* وتوتر مناهج العزم \* ووقفه للترقى في مدارج  
 الكمال \* والتعلى بصوالح الاعمال \* حتى يستضيء بنور  
 النجاح \* ويستفي بظل الفلاح \* نحمده حمداً يقتضي تضاعف  
 الحسنى \* ونشكره شكراً يستدعى ترادف النعمى \* ونصلى ونسلم  
 على رسوله المصطفى من الابرار \* المحبتي من الاخيار \* ذي  
 الاخلاق العظيمة \* والاعراق الكريمة \* محمد وآله خيار الورى \*  
 ومنار الهدى \* صلوات الله عليه وعليهم أجمعين \* أما بعد \*  
 فان أشرف العلوم وأعلاها \* وأجل المعارف وأولاها \*

ما يكون ذريعة للانسان \* الى السعادة الابدية \* والبهجة  
الحقيقية \* والدرجة القصوى للانسان في السعادة والرتبة العليا  
له في اللذة والبهجة في الدنيا والآخرة ان يفوز بمعرفة واجب  
الوجود \* وما صدر عنه \* على الترتيب الموجود \* ولا يمكن  
وصوله الى ذلك \* الا بتزكية الباطن عن الاوصاف المذمومة  
وتخليته بالاخلاق الحمودة

والعلم الكافل ببيان قواعد التزكية والتحلية هو علم  
تهذيب الاخلاق المسمى بالطب الروحاني وهو العلم الهادي  
الى أمثل الطرق وأقوم السبل والمبين لما هو المقصود من إنزال  
الكتب وارسال الرسل وهو الذريعة الى اقتباس الفضائل  
واكتسابها والوسيلة لاستجماع كمالات النفس واستيعابها. وهذا  
مختصر في هذا العلم كاف في ضبط أصوله وقواعده واف مرتبط  
فروعه وأوبده . جمعت فيه عيون أقوال الحكماء في مكارم  
الاخلاق وغررها وشدور أمثال الفضلاء في محاسن الآداب  
ودررها وخدمت بتأليفه خزانة كتب المخدم الاعظم مالك  
رقاب الامم مولى وزراء الشرق والصين خلاصة سلطان

السلطين منقذ الخلق من المهالك صاحب ديوان الممالك غياث  
الورى غيث الندى علم الهدى محمد المحمود فى الملأ الاعلى  
وزير هو الاولى من الناس بالعلمى

فأولاه رب العرش بالطول ماأولى

لازال منصور الالوية والاعلام مقهور العدى بالابادة  
والارغام . وهو وان كان أتاه الله فى أصل الفطرة من صواب  
الرأى ما يغنيه عن استعداد ولا يفنقر فى اقنناء مكارم الاخلاق  
الى تكميل استعداد وأيده تعالى بالصفات القدسية والكمالات  
الانسية والقوى الفلكية والملكات الملكية يرى مصالح الملك  
فى مرآت رأيه بعين الالهام والتوفيق كأنه ينظر الى الغيب  
من وراء سحجف رقيق لكن تكاثر الانوار على المبهمات أنفع  
والظلام الشبه أذفع فان مد الوادى من سيل البلغات وفيض  
الانهار من توالى القطرات . فالمستول من الله تعالى أن يشرق  
هذا المختصر فى عليا حضرته بشرف الوصول وان يوقعه  
موقع القبول وأن يطيل فى العز الدائم بقاءه ويديم على أهل الفضل  
ظله ونعماء وهو المستعان وعليه التكلان

ورببت هذا الكتاب مختصراً على ثلاثة أقسام كل قسم  
منها على فصلين

( القسم الاول ) في الاصول الكلية لعلم الاخلاق

( الفصل الاول منه ) في مقدماته ومبادئه

( الفصل الثانى ) في مطالبه ومقاصده

( القسم الثانى ) في الفروع الجزئية لمحاسن الاخلاق

( الفصل الاول منه ) في نصائح الحكماء والآداب النافعة

في جميع الابواب

( الفصل الثانى ) فيما يجرى مجرى الامثال السائرة من

الكلمات النادرة

( القسم الثالث ) فيما يختص بمحاسن أخلاق الملوك

وآداب أتباعهم من الخدم والحواشى

( الفصل الاول منه ) في مكارم أخلاق الملوك خاصة

( الفصل الثانى ) في آداب الخدم وأسأل الله تعالى توفيق

السداد انه رؤوف بالعباد وهو حسبي ونعم الوكيل

( القسم الاول ) في الاصول الكلية لعلم الاخلاق

## ﴿ الفصل الاول منه في مقدماته ومبادئه ﴾

اعلم أن الانسان له قوى ثلاث احدها القوة العاقلة المدركة للكماليات بداية وتسمى نفساً ملكية . الثانية القوة الغضبية الباعثة لدفع المؤذيات وتسمى نفساً سبعية . الثالثة القوة الشهوانية الطالبة للمشتبهات الحسية التي بها بقاء الشخص والنوع وتسمى نفساً بهيمية وهذه النفوس الثلاث متخالفة متعالية وللانسان فيها تصرف بالاختيار فان شاء نزل على درجة النفس السبعية مطيعاً لها فصار سبعياً من السباع وان شاء نزل على منزلة النفس البهيمية مطيعاً لها فصار بهيمة من البهائم وان شاء نزل على مرتبة النفس الملكية مستعلياً على النفسين الآخرين أمر لهما متصرفاً فيهما على وفق العقل والشرع حتى تتجرد بجوهرها الروحاني عما يشفيها من العلائق الجسمانية الى مبادئها القدسية فانها ان استعلت احدى النفسين الآخرين عليها اكدت علاقتها مع البدن وجذبتها الى العالم الجسماني فاذا فارقت البدن تأملت

غاية التألم لزوال البدن وما يتعلق به من اللذات الحسية  
 والمشتهيات البدنية ولما استقر في النفس من الهيات الدنيئة  
 البدنية والصفات السمجة المؤلمة لها وهيئة استيلاء النفس  
 الناطقة على النفسين الآخرين تسمى فضيلة وهيئة استيلائهما  
 على الناطقة تسمى رذيلة. وإذا ثبتت هذه الهيئة في النفس  
 واستقرت تسمى ملكة. وإذا عرضت ثم زالت بسرعة تسمى  
 حالا. فالخلق ملكة يصدر عنها الافعال الاختيارية بلا روية  
 ثم الافعال الصادرة عنها ان كانت جميلة محمودة عقلا وشرعا  
 فالخلق حسن والافسيء. والفضيلة وسط بين طرفي الافراط  
 والتفريط وكل منهما رذيلة كما قيل «كلا طرفي قصد»<sup>(١)</sup>  
 الامور ذميم. وأصول الفضائل اربعة الحكمة والشجاعة والعفة  
 والعدالة. وأصول الرذائل سبعة الجور والبخل وهما طرفا الحكمة  
 والتهور والجبن وهما طرفا الشجاعة والشر وهما  
 طرفا العفة. السابع الجور وهو مقابل العدل لان طرفي العدالة

«١» القصد هنا الوسط بين الافراط والتفريط من قولهم قصد  
 في الامر قصد أي توسط اه

جور<sup>(١)</sup> وأما فروع الفضائل ولوازمها فلوازم الحكمة اللب  
وثقابة الرأي وجودة الذهن وسرعة الفهم وما يشبهها ولوازم  
العفة الحرية والحياء والخيرية والسخاء وما يشبهها . ولوازم  
العدالة هي جملة هذه اللوازم لأنها فضيلة تحصل من تركيب هذه  
الفضائل الملزومة لهذه اللوازم فلوازمها ما يلزمها . وأما لوازم  
الرذائل فهي مقابلات هذه فلوازم الجبرفة الدهاء والشيطنة  
وما يشبهها ولوازم البله الغباوة والحمق وما يشبهه ولوازم التهور  
التكبر والترفع والصلف<sup>(٢)</sup> والقساوة وما يشبههما ولوازم  
الشره الوقاحة والشرارة والتبذير ولوازم الجمود التحجب والبخل

( ١ ) قوله لأن طرفي العدالة الخ بيان ذلك أن العدل هو اجزاء  
الاحكام الشرعية أو القانونية التي قننها أولوا الدراية على حسب ما يلائم  
الحال والزمان على الافراد بالمساواة فلو فرض أن القاضي بين اثنين  
تجاوز في الحكم الحد المقتن كان جائراً على المحكوم عليه واذم يصل  
الى الحد المقتن كان جائراً على المحكوم له فتبين حينئذ أن الحد  
الوسط بين هذين الطرفين هو العدل وهو اجراء الحكم على وفق  
القانون اهـ

( ٢ ) الصلف هو مجاوزة قدر الظرف اهـ .

وأما لهما ولوازم الجور هي لوازم هذه الرذائل كلها. وأما حدود  
هذه الفضائل والرذائل وتعريفاتها فالجملة صناعة نظرية بها  
يكتسب الانسان معرفة الموجودات على ما هي عليه على حسب  
الطاقة البشرية والشجاعة. مطاوعة القوة الغضبية للقوة العاقلة في  
الافدام والاحجام على مقتضى الرأى الصحيح. والعفة قلة شوق  
القوة الشهوية الى اللذات البدنية بحيث يسهل عليها الصبر عما  
يذم عقلا وشرعا. والعدالة هيئة تحصل من اجتماع هذه الفضائل  
في النفس. وأما حدود لوازم الفضائل فالألب فضيلة بها يكون  
الانسان مستقيما الرأى في الامور قادرا على استنباط ما هو  
الافضل والاصح في الخيرات العظيمة والغايات الشريفة. وثقابة  
الرأى فضيلة بها يقدر الانسان على أن يؤهل نفسه للامور العظام  
مع استحقاقها. والحلم فضيلة بها يكون الانسان غير منفعل من  
المغضبات انفعالا يحمله على سرعة الانتقام. والكرم فضيلة يلتذ  
بها الانسان لما يبذل من الخير. والرحمة فضيلة بها يتألم الانسان  
من شر ينال الغير. والحياء فضيلة بها يحترز الانسان عن الامور  
المذمومة. والحرية فضيلة بها يكون الانسان ضعيف العلاقة مع

الاشياء الجسمانية حتى يقل شغفه بالاصابة وأسفه على القوات  
والخيرية فضيلة بها يلتذ الانسان ويتألم بخير وشر ينال الغير كما  
يلتذ ويتألم لنفسه. والسخاء فضيلة بها يكون الانسان فعالا للجميل  
بالمال فيحصل على ما يجب وفي الوقت الذي يجب وبالمقدار الذي  
يجب. وأما حدود أصول الرذائل فالجبرزة هي استقصاء الروية  
في استنباط ما تتصور أنه خير وليس بخير. والبله هو قصور الروية  
عن المقدار الواجب في مصالح المعاش والمعاد. والتهور هو أن  
تكون مطاوعة النفس في الاقدام أشد من مطاوعتها في الاحجام  
بحيث يقدم على ما لا يجوز الاقدام عليه شرعا وعقلا. والجن هو  
أن يكون بحيث لا يقدم على ما يجب أن يقدم عليه. والشره شدة  
الشوق والشبق الى اللذات الجسمية. والجمود عدم الشوق الى  
ما يجب طلبه عقلا وشرعا. والجور هو الميل عن الاخلاق الفاضلة  
وإهمها لها كما أن العدل هو الاتصاف بها

وأما حدود لوازم الرذائل فهي مقابلات حدود لوازم  
الفضائل فلا نطول الكتاب بتعريفاتها لأنها تعرف بأدنى تأمل  
وأما كيفية تحصيل الاخلاق الحمودة للنفس فذهب ارسطو

ومن تابعه الى ان ذلك يدوم بدوام استعمال الاوساط التي هي  
الفضائل المحصورة بين الاطراف . واعلم ان المقصود من علم  
الاخلاق هو علاج الاخلاق الفاسدة وحفظ الاخلاق الفاضلة  
كما ان المقصود من علم الطب الجسماني هو علاج المرض  
وحفظ الصحة ولذلك سمي علم الاخلاق طباً روحانياً لانه  
مضاهي للطب الجسماني فكما ان للبدن صحة ومرضاً كذلك  
للنفس صحة ومرض . وصحتها بحصول الفضائل ومرضها بوجود  
الرزائل فان رذائل الاخلاق تمرض النفس وتشقيها كما ان رذائل  
الاخلاق تمرض النفس وترديها وكما ان للطب قوانين يعرف  
بها حفظ الصحة وازالة المرض فكذا لهذا العلم قوانين يعرف  
بها تحصيل الفضائل وازالة الرذائل . وكما انه يجب ان يكون  
للأبدان أطباء حتي تكون صحيحة معتدلة المزاج فكذا يجب ان  
يكون للنفس أطباء حتي تكون فاضلة كاملة الذات . وأطباء  
النفس هم الانبياء عليهم الصلاة والسلام لما بسطوا من الشرائع  
الالهية المشتملة على طرق اصلاح النفوس الميينة لمصالح معاشهم  
ومعادهم ومن تابعهم من الخلفاء الراشدين والاولياء الكاملين

والحكمة المتأهاتين<sup>(١)</sup> المقررين لقواعد علم الاخلاق . فاقول  
 بعد تقديم هذه المقدمة ان قوانين طب الابدان في العلاج  
 بان يفصل المرض والسبب والعرض والعلاج فيعرف المرض  
 والسبب بالعرض ثم يعالج بالضد ليزول السبب فيزول المرض فكذا  
 يفصل قوانين طب النفوس الى المرض والسبب والعلاج تفصيلا  
 كلياً مغنياً عن التفصيل الجزئي في التعليم . اما المرض فهو شدة  
 ميل النفس الى البدن ومحبتها له وهذا الميل والمحبة هو أصل  
 سائر الامراض النفسانية لانه يلزم من ذلك الميل والمحبة  
 ارادة الموافقات للبدن وهي اللذات الحسية ويلزم من هذه  
 الارادة ارادة اسباب الموافقات وهي الاحوال ويلزم من ارادة  
 الاحوال ارادة حافظات الاحوال وهي الرئاسات ثم يلزم من  
 هذه الارادات ارادات كثيرة مستندة الى الارادات الاول  
 وهي الرذائل التي هي امراض النفس . ثم ان هذه الارادات  
 اذا اشددت صارت اشواقا وملكات فتحدث الشهوة وهي  
 شدة ارادة الموافق للبدن وهو المذا الحسى كلما كول والمشروب

( ١ ) أى المتعبدين مأخوذ من تأله بمعنى تعبد اه

والمنكوح والملبوس والمركوب وأمثال ذلك من اللذات البدنية  
ويحدث الغضب وهو شدة ارادة دفع المخالف عن البدن وهو  
المؤلم والمؤذى كدفع الاعداء والذب عن الاصدقاء ولذة  
الانتقام والاستعلاء وأمثال ذلك. ويحدث البخل وهو امساك  
الخير عن الغير لاجل نفسه. ويحدث الحسد وهو ارادة أن لا  
يكون الخير الا له وكذلك سائر الارادات التي هي أمراض  
النفس. وأما السبب فهو الادراك والشعور بالارادات أولا  
ثم يلزم من الشعور بحكم النفس بأنه خير مع أنه ليس بخير وهذا  
الحكم اما أن يلزم من تقليده واما أن يلزم من رأى فاسد ثم  
إذا ثبت هذا الحكم في النفس صار اعتقادا وإذا ثبت الاعتقاد  
لزم منه الخلق. وإذا تحرك الخلق لزم منه الانفعال ثم صدر عنه  
الافعال المذمومة كالحسد مثلاً فإنه يثبت في نفس الحاسد  
اعتقاد أن الخير لا يجوز أن يكون لغيره ويفتقر بحصوله لغيره  
ثم إذا عرض سبب من الاسباب المحركة الى الفعل يحصل  
الانفعال في نفس الحاسد وهو المحاسدة ولزم منه الفعل وهو  
التوجه نحو خير الغير وقصد دفعه عنه ومنعه بافعال مذمومة

عقلا وشرعا فهذا هو تحقيق أسباب المرض . وأما العرض فهو  
 العلامات الصادرة عن تلك الانفعالات من الافعال المذكورة  
 المذمومة كالسعي في صرف الخير عن الغير . وأما الانفعالات فهي  
 أيضاً اعراض خفيفة في النفس يعرفها أصحاب تلك الانفعالات  
 وأما الافعال فهي الاعراض الظاهرة الصادرة من النفس  
 المناسبة لتلك الانفعالات فتكون هذه الافعال دلائل على تلك  
 الانفعالات وهي العلامات التي تعرف بها الاخلاق الفاسدة  
 والملكات المذمومة . وأما العلاج فهو باستعمال الاضداد لان  
 الضد يقمع بالضد الآخر . وذلك انما يكون بآليات الاحكام  
 اللازمة عن الرأي الصحيح في النفس بان ارادة البدن وتوابع البدن  
 من الملائمات الحسية انما هي امراض للنفس مضره لها في الحال  
 والمآل . أما في الحال فلأن كل واحد منها مؤلم لان صاحبه  
 يكون دائماً في الهم والغم بسبب حصول الخير للغير وبسبب  
 صعوبة ازالته عنه وبسبب منازعة الخصوم والحساد ومنازعة  
 الاعداء والاضداد . وأما في المآل فلما تحقق تارة من الانبياء  
 عليهم السلام بما أخبروا مما يليق الاشرار وهم أصحاب هذه

الامراض من العذاب الاليم كما قال تعالى «أمامن طغى وآثر  
 الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى» وتارة من الحكماء بما  
 برهنوا عليه من الشقاء العظيم لنفوس الاشرار والفجار في المعاد  
 بعد مفارقة الابدان. ثم اذا تحقق بالرأي الصحيح ان هذه  
 الامراض مضرّة في الدارين يلزم ان يحترز الانسان العاقل  
 عنها وان لا يفعل ما يضره في الدنيا والآخرة بل يجب أن  
 يفعل ما ينفعه فيهما وهو اقتناء الفضائل النافعة في الحال  
 والمآل لانها مقابلة لتلك الرذائل في كل ما ذكرناه من  
 الاحوال كما قال الله تعالى «ان الابرار لفي نعيم وان الفجار  
 لفي جحيم» واذا ثبتت هذه الاحكام اللازمة من الرأي الصائب  
 في النفس لزم منه ترك الارادة الاولى ولزم من ترك الارادة  
 الاولى ترك الارادات التابعة لها لانه اذا بطلت العلة بطل  
 المعلول. ثم اذا تحققت هذه الاحكام في النفس وجب أن  
 يخطر بها بالبال ويقررها ويكررهما في النفس دائماً الى أن تصير  
 ملكات وكلما تكرر خطورها بالبال لا تزال تنسخ تلك  
 الارادات الى أن تضعف وكلما انسخت تلك الارادات التي

هي الرذائل لا تزال تثبت مقابلاتها بالتدريج وهي الفضائل  
هذا هو القانون الكلي لازالة امراض النفس . وأما حفظ  
صحتها وهو محافظة الفضائل فهو ان يتعهد النفس أبداً بمراعات  
الاخلاق الفاضلة والمحافظة عليها بالآراء الصحيحة وبجمال هذه  
الآراء الصحيحة في تعهد الاخلاق ملكة دائمة ويجب أن  
لا يغفل عن صدمة اهمال النفسين فانهما ان أهملتا عادتا الى  
طبيعتيهما الخاصة بهما وأن لا ينحر كهما بالتحيل والتفكير والتذكر  
في شيء من أسباب حركتهما وهيجهانهما واذا اتفق ان خطر  
شيء من أسباب هيجهانهما بالبال فيجب أن يخطر نقائصهما  
بالبال حتى تكرهها النفس وتتركها ومن الامور المعتبرة  
الواجبة في حفظ صحة النفس المواظبة على الوظائف العملية والعلمية  
فان اهمال الوظائف العملية يورث الكسل الموجب لاجرامان  
من السعادة الدنيوية والاخروية وابطال الوظائف العلمية  
يبطل استمداد النفس لقبول الانوار الالهية والمواهب القدسية  
ومنها المجالسة مع الابرار واستماع نصائحهم والمجانبة عن الفجار  
واستماع احاديثهم . وقد قيل بليد نشأ في العلماء افضل من الالباب

نشأ في الجهلاء ومنها صلاح الروح النفساني التي في الدماغ بحسب  
الكيفية والكمية والقوام بصناعة الطب الجسماني فان له أثراً  
عظيماً في حفظ الفضائل المؤدية الى السعادة العاجلة والآجلة  
واعلم أن دعوة العلماء الى الفضائل الخلقية بالبراهين الدالة على  
وجوب التخلق بمكارم الاخلاق وتعودها بمحاسنها ودعوة  
الاوساط اليها بالجدليات والاقتنايات الدالة على وجوب  
التخلق بها ودعوة النسوة والصبيان ومن في مراتبهم ممن  
لا يفهم الحجة والبرهان بمدح الافعال الجميلة وتحسينها لهم وذم  
الافعال الرديئة وتهجينها وتكريهها لهم وحكاية شمائل الاخيار  
من السلف الصالح وحسن سيرتهم ومحاسن عواقبهم وسوء  
خاتمة الاشرار وما يلحقهم من تبعات أفعالهم في الدنيا والآخرة  
وقد جمع الله تعالى دعوة هذه الفرق الثلاث في قوله ( ادع الى  
سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن )  
وفي الجملة السماعات الجميلة والاخلاق الحميدة انما تحصل  
بالاجتناب عن الافعال الرديئة وتكرار الافعال الجميلة  
والاعتياد بها وإثباتها مرة بعد أخرى والمبالغة فيها والمحافظة

عليها حتى تستقيم النفس وتستوى كالخشبة المموجة التي يراد  
تقويمها وتسويتها فانها انما تستوى اذا بنيت الى ضد جهة  
اعوجاجها حتى تقف على الاستواء والاستقامة التي هي الوسط  
بين الجهتين . واعلم ان النفس الناطقة كالملك السائس المدبر للمدينة  
والقوة الغضبية كالجنود الذي يستعين به الملك على تقويم  
الرعية والقوة الشهوانية والقوى التي تتبعها كالرعية وكما ان  
صلاح المدينة وانتظام امورها لا يكون الا بان يكون الملك  
عالماً بمناهج السياسات محيطاً بوجوه التدابير عارفاً بمواقب  
الامور سائساً للجنود مقوماً للرعية وان يكون جنده اقوياء  
منقادين له مطيعين لامره وشارته وان تكون الرعية ضعفاً  
قابلين للتقويم والتعديل حتى لو قدر الامر بخلاف ما ذكرنا  
امتنع صلاح الملك واستقامة حال الرعية . فكذلك المدل الخلق  
لا ينتظم في العالم الانساني الا بان تكون النفس الناطقة  
مستولية على النفسين الاخرين متصرفه فيهما على مقتضى  
الرأى الصائب والنفسان منقادان لها مطيعتان لامرها  
واسارتهما غير متابعين لمقتضى طاعتها في استيفاء لذة الانتقام

والغلبة وقضاء وطر الشهوات قانعتين فيهما بما أطلعها العقل  
والشرع متمسكتين بأحكام الشريعة الحقة في جميع الاحوال  
والاعمال فانها الاعمال الموصلة الى السعادة الابدية المقربة  
الى الحضرة الصمدية فان أساس الفضائل وملاكها هو  
الرجوع الى ملك الحضرة والوصول الى جناب رب العزة فانه  
بجمع اللذات ومنتهي السعادات

﴿ القسم الثاني في القروع الجزئية لمحاسن الاخلاق ﴾

( الفصل الاول منه ) في نصائح الحكماء والآداب النافعة  
يجب على طالب الكمال أن يعرف أصول الامور وفروعها  
ويتقدم باحراز الاصول فان كثيراً من الناس ضيعوا الوصول  
بتركهم الاصول كما قيل من ضيع الاصول حرم الوصول فان  
أصاب القروع بعد احراز الاصول فهو أفضل . فأصل الامر في  
الدين أن يعتقد على الايمان ويحتنب الكبائر ويؤدي  
الفرائض فالزم ذلك لزوم من لا غناء له عنه طرفه عين ومن  
يعلم أن من حرمه هلك — ثم ان قدرت أن تتجاوز ذلك الى

الفقه والعبادة فهو أفضل . وأصل الامر في اصلاح الجسد أن لا يحمل عليه في المآكل والمشارب والباه الاحقه ثم ان قدرت على أن تعلم جميع منافع الجسد ومضاره والانتفاع به فهو أفضل وأصل الامر في الناس أن لا تحدث نفسك بالادبار واصحابك مقبلون على عدوهم ثم ان قدرت أن تكون أول حامل وآخر منصرف في غير تضيق للحذر فافعل فانه أفضل . وأصل الامر في الجود ألا يضمن بالحقوق عن أهلها ثم ان قدرت على أن تزيد ذي الحق على حقه وتتفضل على من لاحق له فهو أفضل وأصل الامر في الكلام أن يسلم من السقوط بالتحفظ ثم ان قدرت على بارع الصواب فهو أفضل . وأصل الامر في المعيشة الثاني في طلب الحلال وأن يحسن التقدير لما ينفق ولا يفرنك من ذلك سعة تكون فيها فان أعظم الناس في الدنيا أحوجهم الى التقدير ثم ان قدرت على الرفق واللطف في الطلب والعلم بالمطالب والمكاسب فهو أفضل وقس على هذا مراعاة لاصول وتقديمها على الفروع في جميع الامور . واعلم أن لكل شيء سبباً وعلة وسبب طيب العيش مداراة الناس وسبب المداراة وفور العقل

وسبب اليسر التيسير وسبب المزيد الشكر وسبب زوال النعم  
 البطر وسبب العفة غض البصر وسبب العطب الغضب وسبب  
 الزينة الادب وسبب الفجور الخلوة وسبب البغضة الحدة وسبب  
 المحبة الهدية وسبب الدعة الضعة وسبب الاخوة البشاشة وسبب  
 القطيعة كثرة المعاتبة . وسبب الفقر السرف وسبب الثروة حسن  
 التدبير . وسبب المقت الحلف وسبب البلاء المراء وسبب الهوان  
 الطمع وسبب الثناء السخاء وسبب التجارة الصدق وسبب النجاح  
 الرفق وسبب المذلة المسألة وسبب الحرمان الكسر وسبب العلو  
 حسن الرئاسة وسبب النيل ترك المزيد وسبب النفرة الصلف  
 وسبب الاموال الحلول بساحة الملوكة . وسبب الخير كله غلبة  
 العقل على الهوي . وقيل لحكيم ما السرور قال عقل يقيمك وعلم  
 يزيناك وولد يسرك ومال يسمعك وأمن يريحك وعافية تجمع لك  
 المسرات . واعلم أن من الامور ما لا يصلح الا بقراءتها فلا ينفع العلم  
 بغير ورع ولا الجمال بغير حلاوة ولا الحسب بغير أدب ولا السرور  
 بغير أمن ولا الغنى بغير جود ولا المروءة بغير تواضع ولا شدة  
 البعاش بغير شدة القاب ولا خفض العيش بغير كفاية ولا الاجتهاد

بغير توفيق وقيل السعيد من الناس من كان العقل أوفر طباعه والعلم  
 أفضل ذخائره ولا يغنيه الا القناعة ولا يؤمنه الا البراءة ولا  
 يوجب الزيادة له الا الشكر ولا يدفع عنه المسكاره الا الدعاء  
 ومن عدم العقل لا يزيد الساطان عزاً. ومن عدم القناعة لا يزيد  
 المال غنى. وقيل وقر من فوقك وان لمن دونك وأحسن موافاة  
 ا كفائك وكما قيل وقر كبيرهم وارجم صغيرهم وراع في الخلق  
 حق من خلقه ولتكن أبر من ذلك بموافاة ا كفائك فان هذا  
 يشهد لك بأن اجلالك لمن فوقك ليس بخضوع لهم وان لينك  
 لمن دونك ليس لطمع فيهم. واذا استطات على الا كفاء فلا تضن  
 عنهم بالصفاء وأحسن تقدير معاشك ومعادك تقديرًا لا يفسد  
 عليك إحداهما الاخر فان أعيالك ذلك فارفض الادنى وأثر  
 الاعظم. ولا ترتكب قبيحاً في وقت من الاوقات لا على خلوة  
 ولا مع غيرك وليكن استحيائك من نفسك أكثر من استحيائك  
 من غيرك. واعلم أن دواعي الشهوات اذا اتصلت بها حاجاتها  
 كانت كالخطب للنار وكالماء للسماك واذا منعتها عنها وحلت  
 ما بينها وبين ما تهوى انطفأت كالنطفاء النار عند فقدان الخطب

وهلكت واضمحلت كهلاك السمك عند فقدان الماء ولا  
تستصغر شيئا من الخطأ الذي يخالف صواب رأيك فان من  
استصغر صغيراً أو شك أن يجتمع معه صغير آخر حتى يصير  
الصغير كبيراً وإنما هو بلم<sup>(١)</sup> يعلمها العجز والاهمال في عقلك  
فاذا لم يسد أو شك أن يتفجر بما لا يطاق سده ولم ترمعظما الا  
وقد أتى به من جهة الصغير المنهاون به . فان الامراض قد تأتي  
من جهة المحتقر منه حتى يهجم منه على الداء العضال والانهار  
تفجر من الثقب الصغيرة المستهان بها والحريق العظيم يكون  
من قبل الشرر الصغير كما قيل \* ومعظم النار من مستصغر  
الشرر \* واحذر من مخاصمة الاهل والولد والصديق والضعيف  
ولا تستفسد صديقاً بهفوة تصدر منه ولا تلم أحداً على ما قد  
يكون في مثله العذر حتى تعلم ما اعتذاره ولا تعد لكل فارطة  
عتاباً وليكن عتابك تأديباً لا تأنيباً . فان شر الادب ما كان تعسيراً  
وخيره ما كان تيسيراً وليكن ما تصرف به العذاب والاذى  
عن نفسك أن لا تكون حسوداً . واعلم أن الحسد خلق لئيم ومن

« ١ » البلم عيون ضيقة ويبلغها بفجرها اه

لؤمه انه متوكل بالادنى فالادنى من الكفا والاقارب  
والخلفاء وعذب حسادك بالاحسان اليهم ودار عدوك لامرين  
اما لرجاء صداقة تؤمنك واما لفرصة تمكنك ولا تخبره بانك  
له عدو فتفرحه بحزنك وتحملة على التسليح لك وتوقد نارہ عليك  
وأعظم لخطرک أن ترى عدوك انك لا تتخذ عدواً فان ذلك  
غرة له وسبيل لك الى القدرة عليه. وان قدرت على اغتفار  
العداوة عنه وارتفعت عن أن تكافئ بها فقد استكملت عظم  
القدر والخطر وان كنت مكافئاً بالعداوة والضرر فايك أن  
تكافئ عداوة السر بعداوة العلانية وعداوة الخاصة بعداوة  
العامه فان ذلك هو الظلم والعار العظيم

واعلم انه ليس كل عداوة تكافئ بمثلاً كالخيانة. والسرقة  
لا تكافئ بالسرقة. ولا تتخذن اللعن والشتم سلاحاً على عدوك  
فانه لا يجرح في نفس ولا مال ولا دين فلا تلوثن نفسك بما  
لا يضر عدوك. ولا تدع مع ذلك احصاء معائبه واخفاءها عنه  
حتى تبديها في موضعها عند الحاجة. واعلم انه قلما بدأ أحد بشئ  
يعرفه من نفسه وقد كان يطمع في اخفائه عن الناس فيعير به

عدوا عند سلطان أو غيره الا كاد أن يشهد عليه وجهه وعينه  
ولسانه والذي يكون من انكساره وفتوره عند ذلك بالبداهة  
فيجب على العاقل أن يحذر هذه الحالة ويتجلد عليها ويقدم في  
الاهبة لاستفائها

عود نفسك الصبر على من خالفك من ذوي النصيحة  
والتجرع لمرارة قلوبهم وعذلم . ولا تسهل سبيل ذلك الالذوي  
العقل والسن لئلا يجترى عليك سفيه أو يستخف بك شائن  
وان ابتليت من سفيه بسفاهة فإياك أن تحتذى مثاله وتعارضه  
بسفه فان كان ذلك عندك مذموماً فحق ذمامك إياه بترك  
معارضته وارع عرضك بالاعراض عنه فانه لا يغلب في الخاصة  
شر الناس الا من كان شراً منه . وان كنت في جماعة فلا تعم  
أمة من الأمم بشتم أو ذم ولا تذهن اسماً من أسماء الرجال  
والنساء فانك لا تدري لعلك تتناول بعض أعراض جلسائك  
أو أسمائهم أو أسماء من يتصل بهم فيجرح في قلوبهم وجرح  
اللسان في النكاية كجرح السنان ولتعلم صاحبك وصديقك أنك  
حذب على صاحبه وصديقه ولا يرى منك نفرة من أصحابه

وأعوانه فان ذلك ينكأ في القلوب ولطفك بصاحب صاحبك  
أحسن موقعا عنده من لطفك به نفسه . وأتق الفرح عند  
المحزون واعلم انه يحقد على المنطلق ويسكن للمكثب . واجتنب  
عن مؤانسة المعجب الكفور ومعاشرة الرجل السيء الخلق  
ومطاعمة الشره الوقح ومنازعة الاديب المفوء وعن اللجاج  
والمرء مع الاخوان وان كنت لسناً — ولا تكثرن ادعاء العلم  
في كل ما يعرض لان فوق كل ذي علم عليم . وانك من ذلك في  
فضيحتين اما ان ينازعوك فيما ادعيت فيهجم عليك بالجهالة  
والصلف واما ان لا ينازعوك ويخلوا الامر من يديك فيطلع  
منك على التصلف والدعوى فان آنت من نفسك فضلاً  
فتطلعت بنفسك تذكره وتبديه فاعلم ان ظهوره منك بذلك  
الوجه يقرر في قلوب الناس من العتب أكثر مما يقرر لك من  
الفضل وانك إن صبرت ولم تعجل ظهر ذلك منك على الوجه  
الجميل المعروف ولتعرف العلماء منك اذا اجتمعت معهم انك  
على أن تسمع أحرص منك على أن تقول . اذا أردت نوب  
الجمال وأن تحلى به وتجلب به المودة عند الخاصة والعامة وتسلك

سبيلا لا عثار فيه فكن عالما كجاهل وناطقا كغبي فان النطق  
 اذا احتجت اليه يليبك الى حاجتك واما الصمت فيكسبك المحبة  
 والوقار. واذا رايت الرجل يحدث حديثا قد علمته أو يخبر خبرا  
 قد سمعته فلا تشاركه فيه ولا تقبحه عليه حرصا منك ان  
 تعلم الناس انك قد علمته فان في ذلك خفة وسوء ادب وشي  
 واعلم ان لسانك اداة مغلبة يتغالب عليه عقلك وغضبك وكل  
 غالب عليه مستمع به يصرفه فيما يحبه فاذا غلب عليه عقلك  
 فهو لك والا فهو لعدوك فأجهد ألا يكون الا لك ولا تحدثن  
 الا من يرى حديثك مغنا فمن لم يسط لحديثك فارفع عنه  
 مؤونة الاستماع ما لم يغالبك الاضطرار وتعلم حسن الاستماع  
 كما تعلم حسن الكلام ومن حسن الاستماع امهال المتكلم حتى  
 يقضى كلامه وقلة التلفت الى الغير وترك سرعة التلفت الى  
 الجواب والاقبال بالوجه والنظر الى المتكلم حتى يقضى كلامه  
 بتمامه. ولا تخلطن بالجد هزلا ولا بالهزل جدا فانك ان خلطت  
 بالجد هزلا هيجته وان خلطت بالهزل جدا كدرته الا في  
 موطن واحد ان قدرت ان تستقبل الجد بالهزل اصبحت في

الرأي وظهرت فيه على الاقران . وذلك ان يتورد متورد بالسفه  
والغضب وسوء الغلط فتجيبه اجابة الهازل المragb برحب من  
الذرع وطلاقة من الوجه وثبات من المنطق

ومن سوء معاشره الرجل ان تشغل عليه نعمة يراها لصاحبه  
فيكون مما يتشفي به في تصغير صاحبه وتكدير نعمته ان يذكر  
زوال النعم وفناء الدول كانه واعظ أو قاض ولا يخفى ان قوله  
لا ينزل بمنزلة الموعدة ولكن بمنزلة الضجر من النعمة والاعتماد  
لها والاستراحة بقوله عنها . واعلم انه سيمر بك من الاحاديث  
ما يعجبك اما مليحة أو رائعة ثم تحرص على ان تعجب منها  
اقوام وليس كل معجب لك معجبا لغيرك فاذا نشرت ذلك  
مرة أو مرتين ولم تره وقع من السامعين موقعه منك فانزجر  
من العود له فان التعجب عن غير عجب سقط شديد . واذا اصاب  
اخوك فضل منزلة من السلطان فلا ترينه ان ذلك الفضل زادك  
له ودا ولا يعرفن منك عليه بماضى اخائه تذلا وأره ان سلطانه  
زادك له توقيرا واجلالا ولا تقدر الامور بينك وبينه على ما كنت  
تعرفه من اخلاقه فان الاخلاق مستحيلة مع السلطان واذا رأيت

في جدة دولة أمرا قد استقام بغير رأى وحزم وأعوانا غلبوا  
 بغير فضيلة واستحقاق فلا تغتر بذلك ولا تعظم أمرها فان ذلك  
 الامر يستنب ثم تصير الشؤون الى حقائقها وأصولها. وقد قيل  
 دولة الجاهل كالغريب يحن الى وطنه بالانتقال ودولة العاقل  
 كالنسيب يحن الى مقامه بالاتصال

ذلل نفسك بالصبر على الجار السوء والجليس السوء فان  
 انقص الناس من آذى جاره وجليسه كما قيل اصبر لاذي  
 جارك السوء اما ان يرحل او يموت

واعلم ان اللثام اصبر اجسادا والكرام اصبر نفسا لان  
 الصبر على مائتي الاجساد من صفات البهائم والصبر المحمود ان  
 يكون المرء للنفس غلوبا ومن الهوى حذورا وللمشاق التي  
 ترجى حسن عاقبتها متحملا وعلى مجاهدة الشهوات صبوراً  
 وعود نفسك السخاء. واعلم ان السخاء على نوعين سخاء الانسان  
 بما في يده وسخاؤه عما في أيدي الناس والاول اقربهما من  
 ان يدخل فيه المفاخرة وترك ما في أيدي الناس أمحض في  
 في التكرم وانزه من الدنس فان جمعهما أحد فبذل وعف فقد

استكمل الجود والكرم . واعلم ان محض الكرم الوفاء بالذمم  
والطمع فيما عند الناس من لؤم النفس ودناءة الهمم . واياك  
والفخر مع العلم بالذي منه كنت وبالذي اليه تصير وتحملك  
ما في بطنك وتركبك من الاشياء التي شأنها الانحلال والانتقال  
من حال الى حال . واياك والكذب فانه لا يكون الا من مهانة  
النفس وسخافة الرأي والجهالة بمواقب مضرتة . وأقل مضاره  
ان يقال فلان لا يصدق فيسقط اعتبار قولك من أعين الناس  
واياك والحلف في حال الصدق فأما في حال الكذب فاجتنب  
منه أشد الاجتناب . واعلم ان أوقع الامور في الدين وأنهيكمها  
للجسد وأتلفها للمال وأضرها بالعقل وأسرعها في ذهاب الجلالة  
والوقار الاغراء بالنساء . ومن البلاء على المغرور بهن انه لا يزال  
يكره ما عنده ويطمع فيما عند الناس وانما النساء أشباه وما يظهرن  
في العيون والقلوب من فضل مجهولاتهن على معروفاتهن باطل  
وخدعة بل كثير مما يرغب فيه الراغب مما عنده أفضل مما يتوق  
اليه نفسه وانما المرتغب عما في رحله منهن الى ما في رحال غيره  
كالمرتغب عن طعام بيته الى ما في بيوت الناس من الاطعمة

بل النساء بالنساء أشبه من الطعام بالطعام فاحذر عن هذه الرذيلة  
أشد الحذر

لا تفرح بالبطالة وان كان فيها راحة ولا تحزن من العمل  
وان كان فيه تعب واغتني من الخير ما تعجبت ومن الاهواء  
ما سوفت . واعلم ان الخير مغلبة وان الحرص محرمة . من قتل في  
الحرب مقبلا افضل ممن قتل مدبراً . ومن طلب بالاجيال  
والتكريم أكثر وصولاً الى مطلوبه ممن طلب بالشره والحرص  
وادراك الحاجة من الناس لا يمكن الا بلطف السؤال ولين  
المقال وحسن الاناء وقلة الاستكراه . ولا تستهزأ بالمال وتنبهته  
فان المال آلة للمكارم وعون على الدهر وقوة على الدين ومأنة  
للاخوان . وفقد المال معه قلة الاكتراث من الناس وتبعه قلة  
الرغبة اليه والرغبة منه ومن لم يكن بموضع رغبة أو رهبة  
استخف به الناس . قيل لحكيم لم تجمع المال وأنت حكيم قال  
لاصون به العرض وأأودى به الغرض واستغنى به عن القرض  
ولا تتقدم على النوم الا بعد ان تتصفح من الافعال التي فعلتها  
في نهارك أجمع وما لم تفعلها فمتى كنت قد أتيت مكرهاً

فليذعنك ومتى كنت قد أتيت رضا فليبهجنك وان كنت  
 تركت مايجب عليك فعله فلتلو من نفسك بالتقصير حتى تنزجر  
 عما تكره وتدوم على مايجب وتدارك ماقصرت فيه . واياك  
 والتعرض لامر مذموم فان ماتراه مذموماً في غيرك لا يكون  
 محموداً فيك . واياك ان تظن ان حسناتك تستغفر سيئاتك  
 هيئات فان القليل من الاساءة في القول والفعل يمحق كثير من  
 الحسنات . واعلم ان العادات قاهرة فمن اعتاد شيئاً في سره وخلواته  
 فضحه في علانيته عند الملأ فاجتهد في اقناء العادات الجميلة  
 والاجتناب عن العادات الرذيلة . ومن كلامهم لا يوجد الفجور  
 محموداً ولا الغضوب مسروراً ولا الحر حريصاً ولا الكريم حسوداً  
 ولا الشره غنياً ولا الملول ذا اخوان ولا يوجد عاقل يحدث  
 من يخاف تكذيبه ويسأل من يخاف منعه ويعمد من لا يثق  
 بانجازه ويرجو مايعنف برجائه ويقدم على ما يخاف المعجز عنه  
 (وصية الفرس) كن صدوقاً لتؤمن على ما تقول وكن ذا عهد  
 لتوفي بهمداً وكن شكوراً تستوجب الزيادة وكن جواداً لتكون  
 للخير أهلاً وكن رحيماً للمضرورين لئلا تبلى بالضر وكن ودوداً

لئلا تكون معدنا لا خلاق الشياطين وكن مقبلا على شأنك  
 لئلا تؤخذ بما لم تجترم. وكن متواضعا ليفرح لك بالخير وكن عالما  
 لتمر عينك بما أوتيت وسرا للناس بالخير لئلا يؤذيك الحسد وكن  
 حذرا لئلا تطول مخافتك ولا تكن حقودا لئلا تضر بنفسك  
 الغاية اضرار اباقياً وكن ذا حياء لئلا تستدم الى العلماء فان مخافة  
 العاقل من مذمة العلماء <sup>(١)</sup> أشد من مخافته من السلطان القاهر  
 (وصية لقمان لابنه) كن في الشدة وقورا وفي المكاره سبوراً  
 وفي الرخاء شكوراً ولا تهن من أطاع الله ولا تكرم من عصى الله  
 ولا تدع مائس لك ولا تجحد ما عليك ولا تتعرض للباطل  
 ولا تقل ما لم تعلم ولا تتكلف ما لا تطيق ولا تتعظم ولا تفخر  
 ولا تضجر ولا تغتب ولا تهمز وان أسيء اليك فاغفر وان  
 أحسن اليك فاشكر وان ابتليت فاصبر واحفظ العبر واحذر  
 الغير. وقيل عظموا قدركم بالتغافل عن دنيء الامور وامسكوا  
 رفق الضعيف بالمعونة ودربوا عقولكم بادب كل زمان واجروا

(١) المقصود من العلماء العاملون بعلمهم لا كمن يمدح ويذم لغرض

شخصي فان مثل هؤلاء شياطين اه

مع أهله على مناهجهم يقل من يخاصمكم وتسلم أعراضكم  
وضموا عنكم مؤنة الخلاف والمماحكة في المنازعة فربما اورثت  
الضعائن ونقضت مبرم الموادات ولا يطمعن ذو الكبر  
في الثناء الجميل ولا الخب<sup>(١)</sup> في كثرة الصديق ولا سيء الادب  
في الشرف ولا الحريص في لذة العيش . وقال آخر من كره العار  
فليتنجب خمس خصال الحرص والشح واحتقار الناس واتباع  
الهوى والمطل بالوعد . وقيل لا تؤاخين مخادعا ولا تستنصرن  
عاجزا ولا تستعين كسالا ولا تحسبن العالم الفاجر عالما ولا الناسك  
المخادع ناسكا ولا الاخ الخاذل أخا ولا مصطنع الكفور منما  
ولا من عظم عنده الدنيا عاقلا . واذا رأيت نفسك قد تصاغر  
الدنيا عندها ودعتك الى الزهادة فيها على حال تعذر فلا يفرئك  
ذلك من نفسك على تلك الحال فانها ليست بزهادة لكنها  
ضجر وضعف وتغيير من النفس عن ما اعجزها من الدنيا  
وغضب منك عليها لما التوى عليك منها فاذا يمت الى رفضها  
وامسكت عن طلبها اوشك أن ترى من نفسك من الضجر

(١) الخب المخادع وهو بكسر الخاء تسمية بالمصدر اه

والجزع أشد من ضجرك الاول بالاضعاف ولكن اذا دعيتك  
نفسك الى رفض الدنيا وهي مقبلة عليك فاسرع اجابتها الى  
ذلك فانها زهادة . وتمسك في كل الامور بجبل الحزم والاجتهاد  
واسأل الله توفيق الثبات والسداد

### ﴿ الفصل الثاني ﴾

فيما يجري مجرى الامثال السائرة من الكلمات النادرة  
محاسن الاخلاق . كنوز الارزاق . صفاء الاخلاق . من بقاء  
الاعراق . الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية . الفضل بالشهامة  
والعمل لا بالفخامة والطلل . لاسمير كالعلم ولا ظهير كالحلم . من  
غزرت عوارفه كثرت معارفه . السلامة مع الاستقامة . الجهل  
مطية من ركبها سقط ومن صحبها حبط . من عدل عن سبيل  
السلامة حصل على طول الندامة . اصطناع الاراذل سعة في  
وجوه الافاضل . كفران النعم عنوان النقم . الحر اذا زل استطال  
واذا ملك اقل . الكريم من اكرم الاحرار . والكبير من  
صغر الدينار . السودد بكثرة الاتباع وكثرة الاتباع بكثرة

الاصطناع . ثمرة الادب العقل الراجح وثمره العلم العمل الصالح .  
 لا يقع في البئر الا من حفر ولا يحمق المكر السيئ الا بمن مكر .  
 من آمن من الزمان خانه ومن يعظم عليه أهانه . من اقتصد في الغنى  
 والفقر فقد استعد لنوائب الدهر . من التوقى ترك الافراط في  
 التوقى . لا بد للجواد من كبوة ولل سيف من نبوة وللحليم من  
 هفوة . الانتقام عدل والتجاوز فضل . خير المزاح لا ينال وشره  
 لا يقال . بادر الى العمل وكذب الامل ولا حظ الاجل . التلطف في  
 الحيلة خير من الوسيلة . الاعتبار يجلو من البصر ظلمة  
 الاغترار . الغنى ترك المني . من صارع الحق ذل ومن أعجب  
 برأيه ضل . ليس من العدل سرعة المذل . الجرب عبد اذا طمع  
 والعبد حرا اذا قنع . من اشتد شرهه ظهر سفهه . شر الناس من  
 يعمل كارها ويا كل فارها . نعم الموازنة المشاورة . بئس الاستعداد  
 الاستعداد . دولة الجاهل عبرة العاقل . العاقل ينظر بعقله وخاطره  
 والجاهل ينظر بعينه وناظره . من ذكر المنية نسي الامنية . من  
 اكتفى بالكفاف اكتفى بالعفاف . عرض للكريم وصرح  
 للثيم . من لم تهزه قليل الاشارة لم تنفعه كثرة العبارة . بعض الحلم

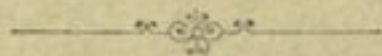
مذلة وبعض الاستقامة مدلة . من أهان نفسه صان نفسه . اذا  
 برزت العقول كثرت الفضول . زوال الدول باصطناع السفل  
 رب فرصة تؤدي الى غصة . رب حجة تأتي على مهجة . رب  
 دم هو سفكة فم . من طلبه القدر لم ينجه الحذر . لا تحذعنك الدنيا  
 بخدائنها ولا تفتننك بودائنها . الرقاد عن هول المعاد مقطعة لازاد  
 العذر من صغر القدر . لكل نجم أفول ولكل زهرة ذبول  
 عند تصحيح الضمائر تغتفر الكبائر . الرفق يفك حد المخالفة  
 انظر الى الدنيا اعتباراً لا اغتراراً . واعمل البر بداراً لا انتظاراً  
 لا تدخر عمل اليوم الى الغد . فان كل يوم يأتي بمشاغله الصدق  
 أمانة والكذب خيانة . الصحة بضاعة والتواني اضاعه . لقاء  
 الاخوان جلاء الاحزان . الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما  
 لا تطلب مجازات أخيك ولو حث التراب بفيك . آخر الصبر  
 أول الفرج . خير الرأي خير من فطيره . من ثقل على صديقه  
 خف على عدوه . من رضى عن نفسه اكثر الساخطين عليه  
 الرفق أدنى سبب للرزق . يا حبذا الوحدة من أنيس اذا خشيت  
 آفة الجليس . نعم التجارة الشكر . لا عذر مع الاصرار . لا صحة مع

النهم . لا صداقة مع الحسد . لا راحة مع الحرص . لا عذر مع  
 الكبر . صدرك اوسع لسرك رب أخ لم تلده أمك . تروى بحزم  
 فاذا استوضحت فاعزم . انتهز الفرصة قبل ان تعود غصة . مغالبة  
 الحق من غلبة الحق . الدنيا دول تبنيها الاقدار ويهدمها الليل  
 والنهار . الكتب اصداف الحكم أسد حطوم خير من سلطان  
 ظلوم وسلطان ظلوم خير من فتنه تدوم . اذا عظمت القدرة قلت  
 الشهوة المصطفى بالنار اعلم بحرها . رب صغير هاجه كبير . رب  
 غم يدب تحت سرور . ستساق الى ما أنت لاق . البخيل  
 حارث نعمته وخازن لورثته . لكل امرء من دنياه ما ينفق  
 لا خراه . تجرع من عدوك الغصة حتى تجد الفرصة . لا خير  
 في من لا تعظه التجارب . الاحق من يأكل ما يجد ثم يسأل  
 ما لا يجد . من بالغ في الخصومة ظلم ومن قصر فيها ظلم .  
 الحسود لا ينال شرفا ولا يفارق أسفا . قلة معرفة الانسان  
 لعيوبه اكبر ذنوبه . احضر الناس جوابا من لا يفض . اوضع  
 الناس من عمل على الرهبة . نخر المرء بفضله لا بأصله . لا يقوم  
 عن الغضب . بذل الاعتذار . الشر يطفى نار العداوة ليس كل

انس مودة . ولا كل انقباض وحشة لا تقل ما لا تعلم ولا تنازع  
 فيما لا تعلم . رتبة العلم أعلى الرتب . غلام عاقل خير من شيخ  
 جاهل . هموم المرء بقدر هممه . قيمة المرء همته . في قلب  
 الاحوال تعرف جواهر الرجال . ادب المرء خير من ذممه  
 جولة الباطل ساعة وجولة الحق الى يوم الساعة . غضب الجاهل  
 في قوله وغضب العاقل في فعله . ظل الاعرج أعوج . فرع  
 الشئ يخبر عن أصله . أشقى الناس من له عدو عاقل . من  
 مروءة الرجل نقاء ثوبه . ولاية الاحق سريرة الزوال . لا فقر  
 للعاقل ولا كرامة للكاذب لا ثناء مع الكبير . ولا شرف مع  
 سوء الخلق ولا داء أعين من الجهل . ولا كرم اعز من التقى  
 اذا تم العقل نقص الكلام . افقر الفقير الحق وأغنى الغنى العقل  
 اوحش الوحشة العجب . ايمان المرء يعرف بايمانه . اخوك  
 من واساك في الشدة اخفاء الشدائد من المروءة بركة المعر  
 في حسن العمل جد بما تجدد . حرم الوفاء . على من لا أصل له  
 خف الله تأمن غيره . الغريب من ليس له حبيب . صديق  
 مساعد عضد وساعد ومما جاء في العظة : الفقير خير من غني لا ينفع

اذا عن بحر لم يجزلى التيمم \* وعند صفو الياالى يحدث الكدر  
 وقد عرفت ريح الليوث البهائم \* بجهة العير يغدو حافر  
 القرس \* ما للعبيد عن الموالى مصدر \* الفضل ما شهدت  
 الاعداء به \* الدر يقطعه جفاء الحالب النجح يأنف بين المعجز  
 والضجر \* ان الوعيد سلاح العاجز الحق المرء يصلحه الجليس  
 الصالح \* الليث لا يصلح العقبى اذا وثبا انى بما أنا بال منه  
 محسود \* ان الاسود حليه با غضبان \* ومن ساءح الايام طاب  
 حنانه \* ومن ناقش الاخوان قل صديقه \* وان فساد الراى  
 ان يترددا \* الناس خلاف اذا لم يغتفر اذا لم تجد بالمال حادثك  
 الدهر \* الموت مستعجل يأتى على مهل عليك بالحفظ دون  
 الجمع من كتب \* لكل امرء من دهره ما تودا اذا عظم  
 المطلوب قل المساعد \* ليس التكحل فى العيين كالسحل \* لا تفر  
 الا بالصديق الماقل \* ومن وجد الاحسان قيد اتقيدا \* ولم ار  
 كالتواضع فى علو \* فكانها وكأنهم أحلام \* الله فرد يحب الفرد  
 فانفرد \* العمر منقرض والدهر خوان \* وكل يوم مضى بعض  
 من الاجل \* متى يستقيم الظل والعود اعوج \* عند الشدائد

تعرف الاخوان \* عند الشدائد تذهب الاحقاد \* الرأى قبل  
 شجاعة الشجعان \* اذا انت اكرمت الكريم ملكته \* خلق  
 الزمان عداوة الاحرار \* تم القسم الثانى من هذا الكتاب  
 والحمد لله على الوهاب



❦ القسم الثالث فيما يتعلق بمكارم اخلاق الملوك ❦

❦ وآداب اتباعهم ❦

{ الفصل الاول منه فى مكارم اخلاق الملوك خاصة }

اعلم ان شريف الاعمال لا يتصرف فيه الا بشريف  
 الاخلاق وان الرئاسة لا تتم الا بحسن السياسة فان السائس  
 الرشيد كالطبيب الحاذق فى حفظ الصحة وازالة المرض وما  
 يعرض فى المملكة من الاضطراب شبيه بما يعرض فى الاجساد  
 من الالوجاع والالوصاب فينبغى ان يكون اجتهاد الملك فى

رعاية صحة مملكته وازالة مرضها كاجتهاده في رعاية صحة بدنه  
 وازالة مرضه ويكون اغتباطه بما يخلفه من الذكر الجليل  
 والاثر الجميل اكثر منه بما يشاهده في مدة حياته بسعته وبصره  
 قال الحكيم اولى الناس بالملك اشد هم محبة لاصلاح الرعية  
 واعلمهم بالتدبير واشدهم سلطانا على هواءه واقهرهم له  
 فيما يتعلق بمصالح المملكة واقدرهم على بسط العدل فيها ورفع  
 الظلم عنها فان العدل ميزان الله في ارضه به يؤخذ للضعيف من  
 القوى وللحق من المبطل فمن لم يراع حق الله وميزانه فيما  
 بين عباده وبلاده فقد جهل اعظم الجهالة واغترشدا الاغترار  
 ولا يمكن ضبط المملكة ولا رعاية الرعية الا بالهيبة والاهيبة  
 للملك عند الخاصة والعامة مثل هيبة العدل والنزاهة من معرفة  
 الشهوات ( وفي وصية ارسطو والاسكندر ) احذر الشهوات  
 وليكن ما تستعين به على كف النفس عنها علمك بانها مذهب  
 للعقل مهجنة للرأى شائنة للعرض شاغلة عن عظيم امور الملك  
 فان نازعتك نفسك الى الشهوات والذات والهو والمهمات  
 فقد نرعت بك الى شر منزلة وادناها وأخسها وأسقطها فغالبا

أشد المغالبة وامتنع منها أشد الامتناع وليكن مرجعك منها  
الى الحق ولا تدهن نفسك في الهوى اليسير فتقطع منك في  
الكبير ولا تبطل عمرك في غير الحق ولا مالك في غير الواجب  
ولا قوتك في غير الرشد فان كنت لا بد لك ان تشتغل بلذة  
فلتكن في محادثة العلماء ومطالعة كتب الحكمة فان ذلك يجمع  
لك السرور وتتمام السعادة وخلافه يجمع لك عاجل المعرة ووخامة  
العاقة . وقال حكيم آخر لا تغرن الملك غروراً بان تحسن له دواعي  
اللهو والهزل والمضحكات فان ذلك صبا أو تصابي ولا توهمه  
وهما بأن تناولها يزيل ملالة أو كلاله وانه أنفع من أطراحها فان  
ذلك من أسقط الاوهام وارداها وأخسر صفقة ممن باع غنيمة  
الحياة وأشرف الاعمال الموصلة الى السعادات الابدية بادون  
الافعال البهيمية التي هي فعل الصبيان والنسوان له . وحسن  
له الفراغ من أهل التعطيل فان أراد ازالة ملالة فليكن في  
مجاورة الفضلاء من الندماء ومسامرتهم واستماع آثار من غير  
من ملوك الزمان وتحول أحوالهم وأعصارهم وتقلب دولهم  
وأدوارهم فتزول ملالته بذلك وتهذب أخلاقه بما تكسبه الفكرة

في ذلك من فوائد التجربة وان استراح احيانا من السماع  
 بما كان داعيا الى الكرم وحانا على السماح ومحركا الى الشجاعة  
 ومن الصيد والقنص بما يكون تدربا ورياضة لخياله وجنده  
 فلا بأس عليه مع انه لا سماع أشرف من حكمة تخبر بحقائق  
 الاشياء ولا صيد أنفع من قيد قلوب الاعوان والاولياء واكثر  
 ما ينتفع به الملك تدير المملكة وزينة السلطنة ومحافظة الهيبة  
 ومجاورة العلماء واستماع آدابهم وقبول نصائحهم وأن يجعلهم  
 ثقاه وأعوانه وبطانته وحراسا على أفعاله وأحواله بحيث لا يغفلون  
 عنه واذا غفل هو عن نفسه فالواجب عليه تعهد أحوالهم  
 وكفاية مؤوناتهم وأن لا يحقر أحدا منهم لمخوله ورعاية حاله  
 فان هلاك الملوك في الدنيا والاخرة في استصغار العلماء واحتقار  
 ذوى النهى والعقل . وليعلم ان سرعة الائتلاف الاخيار عند  
 استمالتهم كسرعة اختلاط ماء المطر بالبحار وبعد الاشرار من  
 الائتلاف وان طالت معاشرتهم كبعد البهائم من التعاطف وان  
 طال اعتلافها وان اشتبكت على الملك الامور وعميت عليه  
 التدابير فليكن مفرغه فيها الى آراء العلماء المرشدين والوزراء

الناصحين والمشاورة معهم فان منها تستبين مصالح الامور كما  
 تستبين المصاييح في ظلم الديجور فان الحازم فيما اشكل عليه من  
 الراى بمنزلة من اضل لؤلؤة فجمع ما حول مسقطها من التراب  
 فنخله حتى وجدها كذلك الحازم يجمع جميع الآراء في الامر  
 المشكل ثم يمعن فيه فكره ويسقط بعضه حتى يخلص منه الراى  
 الصائب. وقد قيل المستشير متحصن والمستبد منهور في الغلط  
 ولعل راىك يوهمك بأن بعض الناس يزدرىك لاقتباسك منهم  
 صواب الراى ويستخف أمرك عندهم فان خطر هذا فاطرحه  
 أشد الاطراح فان الذى تسعد به من العلم المستفاد منهم وتفوز  
 به من مخالفة أهل الجهل افضل لك وأتم نفعاً وأعظم خطراً من  
 أن يعادله شئ سواه مع ان الناس فيك رجالان رجل عاقل  
 يتحقق عنده صواب راىك وجاهل لا يفرق بين صواب الراى  
 وخطئه فلا اعتبار بقوله وفعله عند العقلاء. وليعلم الملك ان تمهيد  
 قواعد المملكة وتنظيم أمور العدالة لا يتم الا بحسم بوائق  
 الاشرار وحسن رعاية الاخيار وصلاح الاعوان والانصار  
 والاجتهاد فى انتقاء صالحى العمال لان اعمال الملك كثيرة ولا

يمكن أن يجتمع استعداد جميع الاعمال في واحد فالوجه في ذلك  
أن يكون الملك عارفا بشرائط كل عمل وباستعداد كل واحد  
معرفة تامة حتى يفوض الى كل عامل عملا يليق به ويشتهر بالكفاية  
والامانة فيه فان العامل للملك كالسلاح للمقاتل فاذا فقد الملك  
عمال الصدق فقد نزل به ما ينزل بالمقاتل اذا بقي بلا سلاح  
ويجب ان يولى خيار أهل مملكته ولا يسلط على الناس جهالهم  
فان الجهالة قائد الضلالة والضلالة واسطة الفتنة وفي الفتنة سفك  
الدماء والهلكة وقد قيل

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة لمن جهالهم سادوا  
ويجب عليه بعد تفويض الاعمال الى العمال المستعدين لها  
أن يتفقد أحوالهم في أعمالهم ويبالغ في تفحص أخبارهم حتى  
لا يخفى عليه احسان من أحسن في عمله واساءة من أساء فيه  
ثم لا يتهاون في تمكين المحسن وزحزحة المسيء مكافأة احسانه  
وإساءته ويبادر في ذلك بحيث يبشر المحسن بعلمه قبل أن يصل  
اليه معروفا ويفرق المسيء في حزنه قبل أن يتلى بمعوبته وقيل  
خير الملوك من يشق به البرى ولا يأمن منه المريب ويعلم أهل

الخير ان معروفه لا يصل اليهم الا بمعونة الخير ويتيقن أهل الباطل  
 ان عقوبته ستصل اليهم بلا دافع فان ثقة البرىء تزيد اجتهاداً  
 في المناصحة وخوف المريب يزيد رعباً وهيبه ومع الاجتهاد  
 بالمناصحة العافية ومع الرعب والهيبه الاستقامة في الطاعة  
 ويجب مع ذلك أن لا تعدم على بابيه الشفعاء ممن يشغل عليه ردهم  
 وتصعب عليه مخالفتهم حتى يمتنع عن الافراط في التأديب  
 المجاوز حد المساءة بشفاعتهم ويجب أن يعلم أن كل واحد من  
 الناس لا يخلو من عيب وفضيلة فلا يمنعه عيب رجل من الاستعانة  
 به فيما عنده منفعة له ولا تحملته فضيلة رجل على الاستعانة به  
 فيما لا معونة له عنده واذا عرض لبعض خدمه قاطع عن بلوغ  
 غرض هو بصددده فلا يلزم منه ذنب الدهر مع ثقته به فقد  
 يقطع المالك القواطع عن حقوق أنفسهم فضلاً عن أوليائهم  
 وخدمهم . واعلم أن وجود أعوان السوء أضر عليه من فقدان  
 أعوان الصديق ويستعين على انفاذ الامور بخلفتين احدهما تألف  
 آراء الاعوان والاخرى التثبيت في الاداء ويحتمل من التأخير  
 في المهمات والتواني فيما يحدث منهما فانه ان فعل ذلك تراحم

عليه الامور وتراكت عليه المهام واذا لم يكف زمانه لمباشرتها  
تخير في تدبيرها وضيع الامور بجملتها وانما الامور كلها امران  
صغير لا ينبغي أن يباشره بنفسه وكبير لا ينبغي ان يكله الى غيره  
فتى باشر صغار الامور شغلته عن كبارها ومتى وكل كبارها  
الى غيرها ضاع أكثر مما حفظ وافسد أكثر مما أصلح . فاذا  
تراكت الاعمال عليه فلا يلتبس التروح بمدافعتها والروغان منها  
فان الصبر عليها هو الذي يحفظها عليه والضجر منها هو الذي  
يزيد تراحمها عليه فليكن معه عند ذلك رأيه الذي يختار به  
الامور فيختار أولى الامور وأهمها ويشغل به حتى يتفرغ الى  
الآخر ولا يعظم عليه فوت مافات ويؤخر ما يؤخر اذا وضع  
الرأى موضعه وجعل شغله فيما يجب . وليعلم الملك ان الناس على  
دينه فليكن للبر والمروءة وحسن السيرة عنده نفاق <sup>(١)</sup> فانه يسد  
بذلك طريق الفجور والفساد في مملكته وليتفقد فيما يتفقد  
من أمور الرعية فاقة الخاصة وليعمل في سدها وطغيان السفلة  
وليجهد في قمعهم وليعلم انه اذا التمس رضا جميع الناس التمس

(١) النفاق بفتح النون الرواج اهـ

ما لا يدرك وكيف يتفق رضا المختلفين في أهوائهم . وليكن  
 أعظم مقاصده في الولاية ثلاث خصال رضا ربه ورضاء سلطانه  
 ان كان فوقه سلطان ورضاء صالح من يلي عليهم وما عليه ان  
 يلو عن المال والجاه والمصالح المتعلقة بهم فانه سيحصل منها  
 ما يمكن على احسن الوجوه بلا اجتهاد في طلبه بعد رعاية هذه  
 الخصال . وليعلم ان ما عدل به من كرامته وميله الى اهل النقص  
 اضربه وانجزه عن كرامة اهل الفضل وما صرف من ماله في  
 الباطل فقد عند ارادة الحق وما شغل من رأيه بغير المهم اضرى  
 بالمهم . ومن الاخلاق التي يجب على الملك الرشيد ان يأخذ بها  
 نفسه ان لا يغضب بسبب من الاسباب بل يتدبر بالحلم  
 والوقار عند هيجان الغضب وليعلم ان الغضب مرض من  
 امراض القلب اذا ما عرض فسدت الآراء معه فان بلى به  
 فلا يمضي فعلا ولا ينفذ حكما عند غضبه . وقد جاء في الاثر ان  
 لا يحكم الحاكم بين اثنين وهو غضبان وقال ازديشير بن ابك  
 ليس للشيطان في ساعة من الدهر طمع في القدرة على الملك  
 اقوى منه في ساعة الغضب وان لا يستفزه السرور والمدح

عنده ولا تملأ البشائر قلبه لئلا ينسب الى ضعف العزيمة وصغر  
الهمة ويقرر في نفسه ان البشائر وان كثرت فهي محقرة اذا  
قيست بكبر همته وأضيفت الى عظم منزلته وأن لا تكر به النوائب  
اذا ألمت ويقدم في فكره أن الحوادث اذا طرقت والنوازل  
اذا وقعت فهي سهلة في جنب صبره وشهامته فاذا طرأ منها  
حادث بان فضله على من سواه بالتحمل والصبر والمسكة عند  
جزعه والوقار والاثانة عند استقراره وأن لا يكون من شأنه  
الفرح بالمدح والتزكية فإنَّ قابل المدح كإدح نفسه وان عرف  
الناس ذلك منه كان ثلثة من الثلم في عقله يقتحمون عليه منها  
وبابا من الابواب يفتتحون عليه منه وغيبة يغتابونه بها ويضحكون  
منها وليكن حبه للمدح هو الذي يحمله على رده فان الراد له  
ممدوح والقابل له مذموم وأن لا يحزن على فوت المحبوب  
أو فقد المطلوب فان الحزن مدهشة للعقل مقطعة للحيلة وثمره  
العقل أن يطرح عنه واراقت الهموم بمزائم الصبر واذا ورد  
عليه محزن يقمع الحزن بالصبر ويفزع العقل للاحتيال في تحصيل  
الفائت أو المفقود ان أمكن ولا يأسف على ما فات من الشراء

(١) فان المال شبيه بالطائر ينتقل من نشز<sup>(٢)</sup> الى نشز فهو عند اقباله سريع الاقبال وعند إدباره خبيث الانتقال وليس سرور يجب أن يفتبط به الملك الا سرور معه رجاء بحسن معاده أما ما سوى ذلك فهو مطروح عند ذوى الالباب لانه ليس من سرور الدنيا بشئ يؤمن عليه الآفات والغير ويها به العقل الانسانى إلا استصغار الدنيا وقدرها عند ما يعاين من تفتيش الآخرة ورفض ما فيها من الخداع بالذات التى لا تأمن فيها من التبعات وينبغي أن يكون للملوك فى أنفسهم عبرة ليست للسوفة وهى أن يتفكروا فى سرعة انقضاء دولهم وافتراط رغبتهم فى الاوزار مع القدرة عليها وفيما عرفوا من قصر استمتاع من مضوا من أمثالهم وكثرة التنغيص والموارض فى نعمهم ودولهم وليعلموا أن أخوف الحالات لهم ما هم فيها ولا يكونوا أشد ثقة بأنفسهم وأقل ثقة بربهم اتكالا على ملكهم وجدهم فان للاعمال جزاء والامور بغتات فيكونون على حذر منها ويسارعون فى

(١) الثراء بالذات كثرة المال اهـ

(٢) النشز بفتح فسكون وفتح حين المرتفع من الارض اهـ

الخيرات فربما كانت ساعة لا تمود قال حكيم خير المملوك أشكرهم  
 لله وانقاهم من محارمه وأكثرهم تعظيماً لامره واقضاهم للحقوق  
 وارأفهم بالرعية وأبعدهم نظراً في العواقب وأخوفهم من الدوائر  
 وأكثرهم سمادة من كثر علمه ووفق للعمل به وكان فرحه بما  
 يستوجب من الناس الشكر ومن الله المثوبة والاجر واقبح  
 اخلاقهم الحدة وضيق الذرع وقلة الفهم وغلبة البخل والقسوة  
 والفظاظة وقلة الاهتمام بامر الرعية . ويجب على الملك أن يأخذ  
 للضعيف من القوى وللفقير من الغنى بحصصهما من الحق  
 ونصيبهما من العدل وان يكون للفقير والضعيف أشد نظراً  
 وأتم عناية وعن أمرها أشد حرصاً لان القوى والغنى يتمتعان  
 من الظلم والظيم بقوتيهما واما الفقير والضعيف فلا يكون امتناعهما  
 بسلطانتهما وقوتيهما بل تكون بمعونته اياهما وان لا يغتر بمزخرف  
 القول ورقيق الكلام فربما حضره الظالم الجاني والمداهن الخوان  
 فسلم من سطواته وحظي من عواطفه بسجراته وافتصاحه  
 عن حجته وربما هلك لديه الامين الحق واصطلم البري المظلوم  
 لعثرات لسانه وعجزه عن بيان حجته فليحتج بنفسه لمن يعجز

عن البلاغة ويقصر عن الفصاحة . وليعلم أن سلطان ملوك الدنيا  
 إنما هو على ابدان ماملوكوا وعلى ما يبدوا من ظواهر امورهم  
 فامانياتهم وما يغييب عنهم من امور بواطنهم فلا سبيل لهم عليه  
 لانه محجوب عنهم فلا ينبغي لهم أن ياخذوا الرعية الا بما يظهر  
 لهم منهم ويتركوا النظمي فان النظمي يدعو الى التهمة والتجني وهما  
 داعيان الى اللوم والشقاء وليعلموا أنهم لا يقدران على ان لا ينطق  
 العامة بعيوبهم ولا يتعبون في ان لا يبصر الناس ما فيهم من  
 المعائب بل يجتهدون في ان لا يكون لهم عيب ويتجنبون عن شكايه  
 الناس منهم فان من لم يبال بالشكايه فقد اعترف بالدناءة ويعلمون  
 انه ما استصلح المستصلح غيره الا بصلاح نفسه وما افسد  
 المفسد غيره الا بفساد نفسه فان رغب الوالي في اصلاح من  
 ولي عليه فليبدأ باصلاح نفسه وان اراد رفع العيوب عنهم  
 فليظهر أولا نفسه منها واذا اشتبه عليه امران ولم يدرك أيهما  
 أصوب فلينظر الى اقربهما من هواه فليخالفه فان الهوى عدو  
 العقل ولا يجتمعان أبدا . وليعلم ان من الامور ما هو حذر ومنها  
 ما هو خور فان كان جيبته من الامر قبل مواقفته اياه فهو حذر

وان انغمس فيه ثم يهيبه فهو خور ولا يدخل في امر من الامور  
 الا بعد التأمل والنأي فان في ذلك انفتاح الرأي واتضاح الصواب  
 وقد قيل اصاب المتأمل او كاد وأخطأ المستعجل او كاد ولا يغرنه  
 المرتقى السهل اذا كان المصدر وعراً أو يعلم ان اهتداء الدعة ما كان  
 بعد احكام المهمات والله الموفق للخيرات

### ﴿ الفصل الثاني في آداب خدام الملوك ﴾

اعلم ان الملك لا يحتمل أحداً على غير الموافقة . وان تأكدت  
 حرمة وقربت ذريعته فاستشعر موافقته واتبع هواه فيما  
 احببت وكرهت وسلم اليه تسليم رضاء واختيار لا تسليم سخط  
 واضطرار وأخلص له اخلاص رهبة ورغبة فان هاتين خلتان  
 لا يخفيان في صاحبهما . ثم ان المنازل مشتركة عند الملك ليس أحد  
 أولى بمنزلة من غيره الا بلزوم الطريقة القويمة والمثابرة على  
 الاخلاق المرضية فتفقد نفسك واصلح ما بطن منها باستشعار  
 الوقار والصبر والشكر والنصح وتجنب البغي والشره والحقده  
 وتدرع السكينة والتواضع والتودد وتنظيف الشعر والبشرة  
 والتزيين بأجمل ما تقدر عليه من اللباس والتعطر بأعبق ما يمكنك

من الطيب فانا ربما رأينا العامة يكره بعضها من بعض المخالفة  
 في مثل هذا الباب فكيف بالملك الذي له القدرة وله أن  
 يستعمل أمثالها فاذا حضرت مجلسه فقف وقوف من لا يرى ان  
 الجلوس من حقه لئلا يتعلق قلبك به ولا تظهر تشوقك اليه  
 ولا تستبدن الملك ان شغل عنك فيه فان أمرك بالجلوس  
 فاجلس معتداً من الملك ذلك نعمة لم تستحقها وكرامة لم تستوجبها  
 لو لا تفضله عليك بها وتطاوله بما صرف اليك منها وتظاير من  
 سرورك بذلك وشكرك عليه ما يعلم به الملك ان قد عقلت قدر  
 اكرامه وشكرت ما كان من إنعامه فانك ان فعلت ذلك  
 رآك للزيادة أهلاً ووجد لك على غيرك فضلاً . ثم الزم الصمت  
 ملتفاً في ردائه فان اضطررك الى النطق أمر فاياك والتشدد  
 في الكلام فان ذلك ليس بأبلغ في الافهام وهو دليل على العي  
 في اللسان والقصور عن البيان بل سلم ليخبر بك وفوض الى  
 قريحتك فان تهيأ لك مع الهويناء صواب كان أجمل لقدرك  
 وأجمل تفكيرك . واعلم انه ليس مجلس من المجالس يجتمع فيه  
 من التشاجر والتحاسد مثل ما يجتمع في مجلس الملك وتنافس

الناس عنده في الخطوة والمنزلة فان أعرض عنك معرض من  
هذه الطبقة فايالك استعمال الاغلاط معه أو تقلد الانتصار  
لنفسك منه بل اسلك به سبيل الاحتجاج أخذا بالرفق وجاذبه  
أسباب الانتصاف مؤثراً للقصد . فان توجهت لك حجة فلا  
تشطط بها مفتخراً ولا تعجب بها مستكبراً فيحرمك البغي  
أسباب الزيادة . وان توجهت له عليك حجة فتلقيها مدعناً وسلم  
لصاحبها بالخضوع لئلا يجتمع عليك لصاحبها مع عدم الاصابة  
قوة المؤنين الموبخين . واعلم انه يحضر مجلس الملك أصناف من  
الناس ومع كل صنف منهم نوع من أنواع الادب وكل حريص  
على أن يكون استماع الملك منه واصفاؤه اليه والملك يجب أن  
يجمعهم بنظره ويعممهم باقباله فان جرى في المجلس شيء لك فيه  
حظ فاجر مع أهله فيه غير مرق ولا متسرع ولا مستنشط  
وان كان ذلك مما لاحظ لك فيه فلا يدعونك الحسد لأهله  
الى التماس صرف الملك عنهم والتكذيب لهم فان ذلك غير زائد  
لك عند الملك قدرا بل هو بضد ذلك أحق وأجدر وتوق  
الشرار بحضرته . واعلم ان كل شيء يجري في مجلس الملك شيء

يلزم من يراه ويسمعه كتمانهُ وستره خلا ما كان من مكرمة  
 للملك يشيعها وحسنة يذيعها فان من حق خاصة الملك الذين  
 يحضرون مجلسه ان يصفوه بأحسن صفاته لسرور الاولياء  
 وكبت الاعداء. ثم احفظ بصرك كما تحفظ لسانك ولا تكثر  
 التلفت يمينا وشمالا ولا تتصفح الوجوه متفرسا متأملا ولا  
 تعرض ما في المجلس متفكها مشرها فان ذلك كله سخف ورجما  
 وقف بصاحبه موقفا يزل معه قدمه ويطول عليه ندمه ثم احفظ  
 سمعك كما تحفظ بصرك فان رأيت الملك أو غيره قد اصغى  
 بسر الى غيرك فلا تصغ اليه بسمعك ولا تحرص على استماع  
 شيء منه فان تلك خيانة ومن خان الملك بحضرته كان فيما يغيب  
 عنه اخون. ولتكن دار الملك دارك التي تتصرف فيها بهمك  
 وملازمك وتعلم مكانك منها بطاعتك ومناصحتك فان الزمت  
 نفسك بذلك فقد زخرقتها وأعددت الملاهي فيها ودعاك ذلك  
 الى استئصال مكانك من دار الملك فاعلم ان مكانك في أدون  
 المنازل من دار الملك أشرف قدرا وأجل ذكرا من مكانك  
 في أعلى المنازل من غيرها. ومن عرفه الملك يحب البعد منه

والنهي عنه سئمه ومله وكان عليه أشد عنا، وليكن من اخلاقك  
التي يعرفك الملك بها الاجتهاد في الاعتذار لمن علمت ان الملك  
يحب ان يبدله عذراً ممن زل أو هفا من خدمه وان كان من  
اعدائك وترك اشهاد الفرصة عليه عند تغير الملك والمبالغة في  
الاحتجاج على من كان بخلاف هذه الحال عند الملك وان كان  
مفتاح أهل النار ويقود اليها وان الدنيا مبنية للخراب وان  
عمرك للخراب وجسدك للتراب وما جمعت له للورثة فالنعم لغيرك  
والحساب عليك والعقاب لك واللوم لك والصاحب لك في  
القبر العمل فحاسب نفسك قبل أن تحاسب والزم طاعتي واحذر  
معصيتي وارض بما آتيتك وكن من الشاكرين. ومن أذنب  
ذنبا وهو ضاحك أدخلته النار وهو بك ومن جلس باكيا  
من خشيتي أدخلته الجنة وهو ضاحك وكم من غني يمتنى الفقر  
يوم حسابه وكم من جبار أذله الموت وكم من حلو مرره الموت  
وكم من مسرور بنعمته كدرها الموت عليه وكم من فرحة اورثت  
حزنا طويلا ولو علمت ما تعلم البهائم من الموت لامتنت من  
الاكل والشرب حتى تموت جوعا وعطشا. يا ابن آدم لو لم يقدر

عليك الا الموت وشدة لكان يجب عليك أن لا تهجع بالليل  
ولا تستقر بالنهار فكيف ما بعده مما هو أشد منه . يا ابن آدم  
اجعل سرورك بما تناله من النعيم في آخرتك وليكن أسفك  
على ما فاتك منها وما أتاك من دنياك فلا تفرح بها وما فاتك  
منها فلا تأس عليه ولا تغتر بشبابك فكم من شاب قد سبقك  
الى الموت . يا ابن آدم من التراب خلقتك والى التراب أعيدك  
ومن التراب أبعثك مرة أخرى فودع الدنيا وهياً للموت  
واعلم أني اذا احببت عبداً زويت الدنيا عنده واستعملته للآخرة  
وأريه عيوب الدنيا فيحذرها ويعمل بعمل أهل الجنة برحمتي  
اياه واذا أبغضت عبداً شغلته بالدنيا واستعملته بعملها فيكون  
من أهل النار فادخله النار بغضبي . يا ابن آدم كل عمرك فان وان  
طال والدنيا كفي الظلال قليلاً ثم تذهب فلا تعود اليك وأنا  
الذي خلقتك وأنا الذي رزقك وأنا الذي أحبك . وأنا الذي  
أمتك وأنا الذي أبعثك وأنا الذي أحاسبك فان عملت خيراً  
رأيت خيراً وان عملت شراً رأيت شراً مع انك لا تملك لنفسك  
نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً . يا ابن آدم اطعني

واحد مني ولا تهتم بالرزق فقد كفتك أمره ولا تحمل هم  
شيء فقد كفيت أمره . كيف تحمل هم أمر لم يقدر لك ولا  
تدركه كما أنك لا تأخذ ثواب عمل لم تعمله . ومن كان سبيله الموت  
فكيف يفرح بالدنيا . ومن كان بيته القبر فكيف يسر بما بينه  
في دار الدنيا . يا ابن آدم رزق قليل وأنت شاكر خير من كثير  
وأنت غير شاكر . وخير مالك ما قدمته وشر مالك ما خلفته في  
الدنيا فقدم لنفسك خيراً تجده عندي قبل أن يأخذك لص  
الموت بغتة ومن كان مهووماً فأنا الذي فرجت همه ومن كان  
مستغفراً فأنا الذي اغفر له ومن كان تائباً فأنا الذي نهيته ومن  
كان عارياً فأنا الذي عريته وكسوته ومن كان خائفاً فأنا الذي  
أؤمن خوفه . ومن كان جائعاً فأنا الذي أشبعه وإذا كان عبدي  
على طاعتي وأمضى أمري يسرت أمره وشددت أزره  
وشرحت صدره . يا موسى من استغنى بأموال الفقراء والأيام  
أفقرته بالدنيا وعذبه في الآخرة . ومن تجبر على الفقراء أذلته  
ومن بني بقوة الفقراء والضعفاء بناء عقبته ببناء الخراب وأسكنه  
النار ( ان هذا في الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى )

## فائمه الطبع

اذا كانت المطبوعات من أكبر الاسباب والبواعث  
 على تقدم الامم وترقيها وهي الواسطة في نشر العلوم والفنائل  
 بين الناس والوسيلة الكبرى لبث الافكار النافعة والآراء  
 الصحيحة التي يكون من وراء تعميقها تثقيف العقول وتشجيع  
 الازدهان لتتحد على جلب المصالح ودراء المضار. وهي مشخصات  
 الامم وعنوانها والتي منها يستدل على اخلاقها وكنه أطوارها  
 في كل ادوارها الاجتماعية. فما لا خلاف فيه ان نهضة المطبوعات  
 بيننا ترمي الى غرضين الغرض الذي يقصده المني الحقيقي من  
 نشر المطبوعات في سبيل تقدم الأمة والآخر جاء تشويشاً على  
 الأول وعقبة في طريق سيره. فالأول ذهب فريته الى نشر  
 الكتب العلمية النافعة التي لا يستغنى عنها بحال من الاحوال  
 والأمة في أشد الموزو الافتقار اليها فالفوا الجمعيات وتعاذوا على

نشر المطبوعات كي تستفيد الأمة منها فائدة تنزع بها الى الغاية  
التي وصلت اليها بقية الامم الراقية والشعوب المتقدمة ولتكن  
مشخصات الأمة والدليل على كيانها في حسن سمعها وطيب صيتها  
والاخر نزع فريقه الى نشر المطبوعات الضارة بالأمة  
المفسدة لأخلاقها فن كتب تنشر محشوة بالخرافات والباطيل  
التي لا يقصد بنشرها سوى رواج تلك السلع البائرة في سوق  
يجب أن تطهر من تلك الادران وهاتيك المخزيات . والله يعلم  
ان أولئك الذين ينشرون مثل تلك المطبوعات علموا مشرب  
السواد الأعظم من الامة فقدوها اليه على خلو القواد من  
أنواع العلوم والمعارف وتجرده من جميع أساليب الحكمة  
والصواب فصادفت قلباً خالياً فتمكنت : وقد يتعذر الآن قلع  
تلك الجذور من اعماق هاتيك القلوب التي ألقمها ومالت اليها  
على اعتبار انها من المسليات أو المضحكات لارباب الكسل  
وذوى البطالات . ولو انهم فعلوا ما ينفعون به لكان خيراً لهم  
وياليتهم وقفوا عند هذا الحد من نشر المجنون والهذيان  
بل تجاوزوه الى ما هو أشد ضرراً واعظم نكالا فقد استطالوا

على الاعراض ونالو من الحرمات بنشر الاحاجي الشائنة والمذام  
المهينة وهم بذلك لا يحطون قدراً ولا يخفزون عالياً بل ان  
ما ينشرونه هم أولى به واحق

مقالة السوء الى أهلها أسرع من منحدر سائل  
ولكنهم يعلمون الناس خلقاً ذمياً ويجنون على الآداب  
أى جنائية . ولو كانت تلك المطاعن مما يستحقه البعض جزاء  
تقصيرهم عن فعل الواجب وقعودهم عن الفضل لكان الامر  
ولكن ما ذنب من تأته تلك المذام على غير جرم ارتكبه  
فمن لنا بمن يحول بين الامة وبين تلك الحرية حرية المطبوعات حتى  
لا تكون السفاسف مشخصاتنا وحتى يستعاض عنها بالنافع  
واذا كانت معذرة هؤلاء في نشراتهم ما يشاهدونه في  
البعض من الاخلاق الفاسدة ويريدون بذلك اصلاح اخلاقهم  
وتطهير اعراقهم فان النجس لا يطهر بالنجس . والاخلاق لا تقوم  
بهجو القول وانما تصلحها العبارات الرائقة والمعاني الرقيقة من  
الحكمة والعظة على حسب ما يقتضيه المقام وتستدعيه ظروف  
التخاطب في مراتب البلاغة . واذا لم يكن عن التأنيب مندوحة

فليكن كقول الشاعر العربي

لو كنت من مازن لم تستبح ابلي  
 ينوالقيطة من ذهل ابن شيبانا  
 إذا لقام بنصري معشر خشن  
 عند الحفيظة ان ذلولثة لانا  
 قوم اذا الشر ابدى ناجديه لهم  
 هموا اليه زرافات وواحدانا  
 يحزون من ظلم اهل الظلم مغفرة  
 ومن اساء ذاهل السوء احسانا  
 اما رجالي وان كانوا ذوى عدد  
 ليسوا من الشر في شئ وان هانا  
 كأن ربك لم يخلف لحشيته  
 سواهموا من جميع الناس انسانا

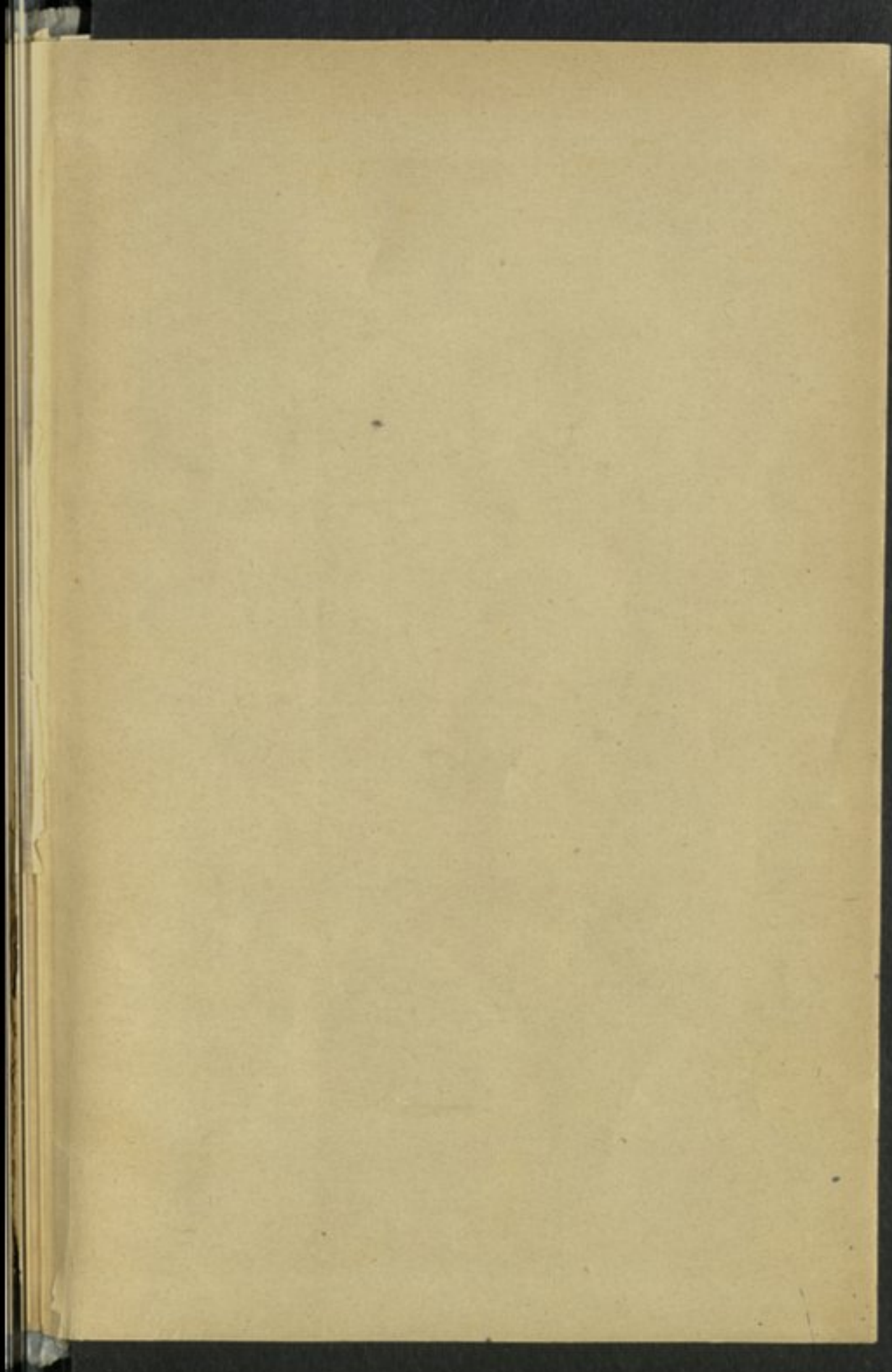
فانظر الى هذا القول الذي بلغ منهى البلاغة من التبكيت  
 والتعنيف وشدة التأثير في نفس السامع وهو مع ذلك مجرد  
 عن كل لفظ بمجه السمع عار عما يؤمله الى درجة الهجاء مع  
 أنه في منتهاه فالهم وفق الجميع الى حسن القول والعمل واجعلنا  
 من عبادك الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه انك على  
 ما تشاء قدير .

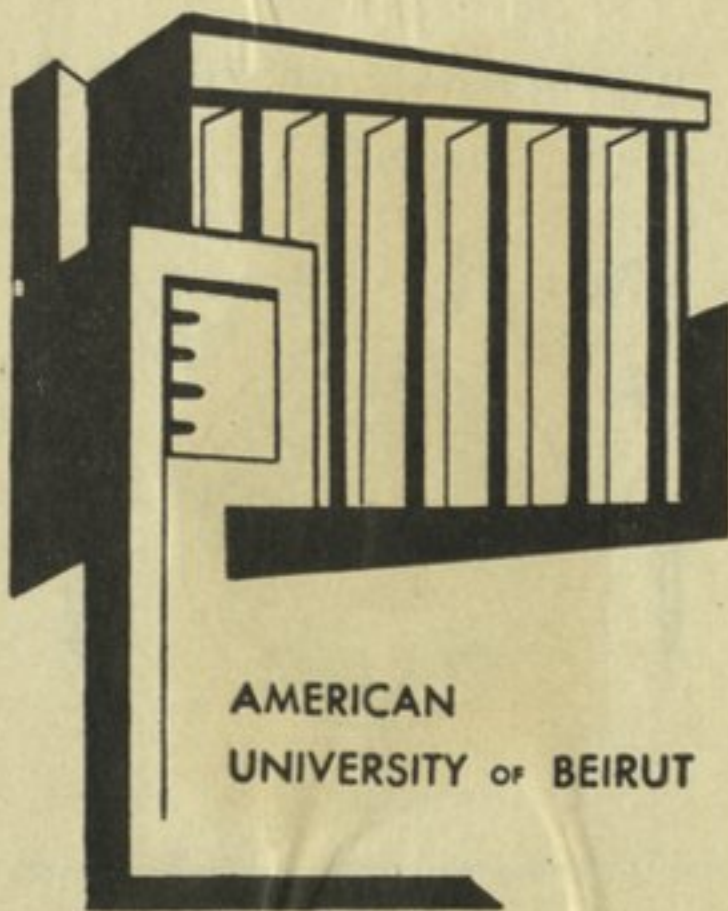
( عبد العليم صالح )

المحامى



11  
12  
13  
14  
15  
16  
17  
18  
19  
20  
21  
22  
23  
24  
25  
26  
27  
28  
29  
30  
31  
32  
33  
34  
35  
36  
37  
38  
39  
40  
41  
42  
43  
44  
45  
46  
47  
48  
49  
50  
51  
52  
53  
54  
55  
56  
57  
58  
59  
60  
61  
62  
63  
64  
65  
66  
67  
68  
69  
70  
71  
72  
73  
74  
75  
76  
77  
78  
79  
80  
81  
82  
83  
84  
85  
86  
87  
88  
89  
90  
91  
92  
93  
94  
95  
96  
97  
98  
99  
100





AMERICAN  
UNIVERSITY OF BEIRUT

170  
Sh 55A  
C.1